

فاعتبروا يا أولي الأبصار

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. هذه مجموعة من القصص جمعناها لتكون عبرة لأولي الأبصار، نسأل الله سبحانه ان يجعلنا ممن يعتبر بها ويقتدي بمن أمرنا الله بالافتداء بهم من الأنبياء والأئمة والصالحين، انه سميع مجيب.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١

بناء المساجد

لما هاجر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، نزل ضيفاً على دار بني مالك بن النجار، فرأى (صلى الله عليه وآله وسلم) أحياء عديدة وكان يتجاوز عددها تسعة، وكان كل حي يحتوي على منازل متعددة وفي أطرافها البساتين والمزارع، وكان سكانها مستقلين بعضهم عن الآخر، كأنما هي قرى منفصلة بعضها من البعض الآخر.

فبنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مساجد مختلفة لهم، وفي بعض التواريخ انه (صلى الله عليه وآله وسلم) بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحوايلها ٤٧ مسجداً غير مسجد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢

من حفر بئراً لأخيه

قال السيد نعمة الله الجزائري (رحمه الله): حكى لي من أثق به:

إن رجلاً في إصفهان كانت له زوجة.. فاتفق أنه ضربها بعصي فماتت من غير أن يتعمد قتلها، فخاف من أهلها وما اهتدى إلى الحيلة في أمره.

فأتى إلى رجل واستشاره في ذلك الأمر.

فقال له: أعمد إلى رجل صبيح الوجه، وأدخله بيتك واقتله واجعله بجانب المرأة المقتولة، فإذا سألك أقاربها

فقل: رأيت هذا الرجل معها فقتلتها.

فاستحسن الرجل كلامه.. فبينما هو جالس على باب داره نظر إلى شاب مار في الطريق فطلبه وأحسن صحبته، ثم كلفه الدخول إلى داره فأدخله وأطعمه، ثم حمل عليه بالسيف فقتله.. ولما أخبر أهل زوجته بخيانتها، قالوا: نعم ما فعلت.

ثم إنه كان لذلك الرجل الذي أشار عليه ولد حسن الوجه، فافتقده ذلك اليوم ولم يجده، فأتى إلى صاحبه وقال: هل فعلت ما أشرت عليك؟ قال: نعم.
قال: أرني الذي قتلته.

فأدخله داره فنظر إلى المقتول فإذا هو ولده، فحشى التراب على رأسه.
وظهر قوله (عليه السلام): (من حفر لأخيه المؤمن بئرا أوقعه الله في بئره). (١)

٣

من أخبار السفهاء

روى أحد القراء قال: دخلت مسجد حمص يوما، فوجدت رجلا حافي الرأس، فسلمت عليه فلم يردّ الجواب.
ثم التفت إليّ وقال: أظنك من الحمقى الذين يأتون من أسافل الشام.
فسألته: ما قصتهم؟ ومن هم؟
قال: هم: أبو بكر الصناديقي، وعمر القواريري وعثمان بن أبي سفيان، ومعاوية بن العاص، يتعادون فيما بينهم، ويتنازعون.

قلت له: من هو معاوية؟

قال: هو من بعثه الله إلى قومه حتى يقول لهم، إن عصا موسى كانت من شجرة العوسج، وصادف في الطريق محمود النبي، وتزوج بابنته، وفي زمن الحجاج بن المهدي ولد الحسن والحسين من هذه البنت.
قلت له: لك اطلاع عجب في التاريخ!! فهل قرأت القرآن؟
قال: أقرأ القرآن بالقرءات السبع.
قلت: أسمعني منه.

فبدأ وقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا إذا جاءهم بشير ونذير استغشوا ثيابهم استغشاشا، وجاعوا إلى ناقة الله ومكروا مكرا كبيرا بأي آلاء ربكما تكذبان).

قلت له: لم لا تذهب إلى بغداد حتى يعرفوا لك قدرك وفضلك؟

قال: بغداد مكان الجهلة والحمقى، ما لي وبغداد؟!

قال: فتركته وخرجت من المسجد؟

ونظير ذلك ما روي أن رجلا من أهل العلم قال: سألتني أحدهم فقال: كم تطنبون في فلان وفلان؟

١- غرر الحكم ودرر الكلام ص ١٩ ح ٩٦٠٦، وشبهه في أعلام الدين ص ١٨٥ فصل مما ورد في ذكر الظلم.

قلت له: كأنك تريد عليا (عليه السلام).

قال: بلى.

قلت: ما كانت قصته؟

قال: أليس هو أبو فاطمة أخت معاوية، قتل مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة حنين!!.

٤

صيرّ الحلال حراما

لما أراد علي (عليه السلام) أن يذهب إلى المسجد ليصلي، رأى رجلا واقفاً إلى جانب المسجد، فقال له: احرس لي هذا المركوب.

وبعد أن ذهب (عليه السلام)، أقدم ذلك الرجل على إخراج لجام المركوب من رأسه وسرقه وذهب.. فخرج الإمام (عليه السلام) من المسجد وبيده درهمان أراد أن يعطيهم لذلك الرجل، فلم يجد الرجل ورأى انه ذهب وأخذ معه لجام المركوب..

فأعطى الدرهمين لغلامه ليشتري له لجاما من السوق. فذهب الغلام ورأى في السوق ذلك اللجام المسروق وقد بيع بدرهمين، فاشترى اللجام المذكور بدرهمين وجاء به إلى الإمام (عليه السلام).

فقال (عليه السلام): ما أعجل الإنسان وما أقل صبره، يأتيه الحلال فيحرمه على نفسه، مع أن العجلة لا تزيد في رزقه، وقد أردت أن أعطيه درهمين حلالاً فجعله حراما.

٥

الصلاة خلف النبي (ص)

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ان أول صلاة جماعة كانت بهذه الكيفية: فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي، وعلي (عليه السلام) عن يمينه، فلما مر أبو طالب من ذلك المكان، وكان معه ابنه جعفر، رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) قائمان يركعان ويسجدان، قال لابنه جعفر: صل جناح ابن عمك، فقام إلى جنب علي، فأحس بهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقدم عليهما، حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا نحو أبي طالب، فكان السرور يظهر على وجهه، ثم أنشد يقول:

إن عليا وجعفر ثقتي***عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا***يخذله من بني ذو حسب

* جعفر الطيار: هو ثالث أولاد أبي طالب، أخو علي (عليه السلام)، له فضائل عديدة، هاجر إلى الحبشة مع

ثمانين شخصاً، وكان يرأسهم، وعهد إليه التحدث باسمهم، ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر، وكان قد سرّ به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سروراً شديداً، استشهد في معركة مؤتة سنة ثمان للهجرة، بعد أن أبرز شجاعة فائقة، وعمره آنذاك (٤١) سنة، ورفعت الملائكة جسده الطاهر ومحل وقوعه الآن في الأردن.

٦

ليلة القدر

روى ابن عرادة قال: كان علي (عليه السلام) في ليالي شهر رمضان يطعم الناس لحماً، وكان هو لا يأكل منه شيئاً.

فاذا فرغوا خطبهم ووعظهم.

فأفاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم، فلما فرغوا خطبهم (عليه السلام) وقال في خطبته: (اعلموا أن ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم) (١).

وفي رواية: فقالوا: أخبرنا عن ليلة القدر، أي ليلة هي؟

قال (عليه السلام): لم يخف عليّ العلم بها، ولكن أخفيه عنكم، ولا اظهره، لأنّ عدم الكشف عنه هو صلاح لكم، لهذا سترها الله عنكم، فلو كانت معلومة كنتم تتعبدون بتلك الليلة فقط، وتغفلون عن العبادة في الليالي الأخر، أرجو أن تتعبدوا في هذه الليالي ولا تضيعوها.

٧

لا مانع من البكاء

روى يزيد بن هارون قال: لما توفيت رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صرخت النساء بصوت عال، فحمل عليهن عمر بن الخطاب ليضربهن بسوطه.

فأمسك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده وقال: (مهلاً، يا عمر).

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) للنساء: (ابكين، مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان). (٢)

ووردت روايات كثيرة في بكاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الموتى من آله (عليهم السلام):

منها: عند ما مات صبي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاضت عينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٥٣.

٢- راجع بشارة المصطفى ص ٢٧٣ وفيه: (فقال: يا عمر دعهن فان العين دامة والنفس مصابة، ابكين وياكن وبقية الشيطان، فانه ما يكن من القلب والعين فمن الله وما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان)، الحديث.

وسلم)، فقال سعد بن عبادَةَ: يا رسول الله! ما هذا؟
 فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده
 الرحماء). (١)
 وجاء أيضاً: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكى لموت ولده إبراهيم، فقال له عبد الرحمن بن عوف -
 مستنكراً ذلك -: وأنت يا رسول الله!؟
 فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا بن عوف! إنها رحمة).
 ثم قال: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفرآك يا إبراهيم لمحزونون). (٢)
 إن فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة حسنة، يستحب للمسلمين أن يقتدوا به ويعملوا بسنته، وأما
 ما ذكره بعض المحدثين: بأن الميت يعذب ببكاء الحي، أو لبكاء أهله عليه، كل ذلك موضوع ولا أصل له، وذلك
 بحكم العقل والنقل.

٨

إسلام يهودي

كان (مخيريقي) من يهود بني ثعلبة، وقال في معركة أحد: يا معشر اليهود! تعلمون جيداً أن حفظ محمد
 (صلى الله عليه وآله وسلم) واجب عليكم.
 فقالوا: اليوم سبت، ونحن لا نعمل أي عمل.
 قال: ألم يكن لكم سبت غيره؟ إن دين اليهود قد نسخ، وذهبت قوانينه.
 فأخذ مخيريقي سيفه وعزم على الحرب، وقال: لو قتلت فستكون ثروتي تحت تصرف محمد (صلى الله عليه
 وآله وسلم)، يفعل بها كيفما شاء.
 فجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلم وقاتل حتى قتل.
 وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل اليهود مخيريقي). (٣)
 وكانت أملاك مخيريقي سبعة بساتين، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخذها، وأعطاهها فاطمة
 (سلام الله عليها)، وهذه البساتين السبعة كانت في يد الزهراء (سلام الله عليها) بعد وفاة الرسول (صلى الله
 عليه وآله وسلم) ولم تؤخذ منها.
 وإنما أخذت منها فدك مع ان فدك كانت ملكاً لها، قد أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من
 رب العالمين.

١- مسكن الفؤاد ص ١٠٦ الباب الرابع في البكاء.

٢- مسكن الفؤاد ص ١٠٢ الباب الرابع في البكاء.

٣- راجع حول مخيريقي كتاب (أعلام الوري) ص ٦٩ الفصل الثامن في ذكر مكر المشركين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٩

الحجاب

كانت هند زوجة أبي سفيان قد أسلمت بعد فتح مكة، فسألها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف رأيت دين الإسلام؟

قالت: أفضل دين، لولا ثلاثة أشياء فيه.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): وما هي:

قالت:

أحدها التجبية، أي الركوع والسجود.

الثاني: المعجر، أي الحجاب.

الثالث، صعود هذا الغلام الأسود سطح الكعبة، أي أذان بلال.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم):

أما التجبية: فلا تقبل الصلاة بدونها.

وأما الحجاب: فهو أفضل لباس للمرأة.

وأما الغلام الأسود، فهو من أفضل خلق الله.

١٠

من آثار الطيب

يقال: انه جلس المنصور العباسي يوما في إحدى غرف قصره، فرأى رجلا ملهوفًا يدور في الطرقات. فأتى به فأخبره: أنه خرج في تجارة وأفاد مالا كثيرا، ولما رجع أعطاه زوجته، فذكرت أن المال سرق من المنزل ولم ير أثرا.

فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟

قال: منذ سنة.

قال: تزوجتها بكرا أم ثيبا؟

قال: بل ثيبا لكنها شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب وقال: تطيب بهذا يذهب همك، فأخذها إلى أهله. وقال المنصور لجماعة من ثقاته: اعدوا على أبواب المدينة فمن شمتم منه رائحة هذا الطيب آتوني به. ومضى الرجل بالطيب إلى أهله، فأعجب المرأة ذلك الطيب، وبعثته إلى رجل كانت تحبه وهو الذي دفعت إليه المال، فتطيب به ومر مجتازا ببعض الأبواب ففاحت منه روائح الطيب، فأخذوه إلى المنصور فقال: من أين استفدت هذا الطيب؟ ثم هدده فأقر بالمال وأحضره بعينه، فدعى صاحب المال وحكى له القصة، وأمر بطلاق امرأته.

١١

جدد الودیعة

قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد قيمته ألف دينار، فجاء به إلى عطار موصوف بالصلاح فأودعه عنده ومضى إلى الحج.

فلما قدم من الحج وأراده من العطار جده، وصدقته الناس، فعرض الحاج حاله على عضد الدولة البويهی. فقال له: اذهب غدا واجلس على دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمرّ عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك فلا تزدد على رد السلام، فإذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد. فعمل ذلك.

ولما كان اليوم الرابع أتى عضد الدولة في موكبه العظيم وسلم عليه، فلم يتحرك ولكن رد عليه السلام. فقال عضد الدولة: يا أخي تأتي العراق ولا تقدم إلينا ولا تعرض علينا حوانجك؟ فقال: لم يتفق ذلك، هذا والعسكر واقف.. فانذهل العطار وأيقن بالموت.

فلما انصرف الملك التفت العطار إلى الحاج وقال: يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف؟ ذكرني لعلني ناس.

فذكر له أوصافه فحل له جرابا وأخرجه منه وقال: كنت ناسياً. فمضى الحاج إلى عضد الدولة وأخبره فعلقه عضد الدولة في عنق العطار وصلبه على باب دكانه، ونودي عليه هذا جزاء من استودع فججد.

١٢

كيف لم يوص النبي (ص)

روى أبو الهذيل العلاف المتوفى سنة (٥٢٢٧هـ) قال: رأيت رجلا في دير هرقل وقد ألصق نفسه بالحائط، فقال لي: أنت أبو الهذيل العلاف؟

قلت: نعم.

قال: هل النوم لذة؟

قلت: نعم.

قال: متى يرى الإنسان لذة النوم؟

فقلت: في نفسي، إذا قلت في حال النوم فقد أخطأت، لأن الإنسان لا عقل له ولا شعور في ذلك الحال، وإذا

قلت: قبل النوم، فقد أخطأت أيضا، لأن النوم لم يأت حتى تعرف لذته، وإذا قلت: بعد النوم، فقد أخطأت، لأنه انتهى، فبقيت متحيرا في الجواب.

فقلت: قل أنت حتى أسمع وأنقل عنك.

فقال: أقول بشرط أنك تقول لهذه المرأة صاحبة الدير: أن لا تضربني.

فذهبت إلى المرأة وطلبت منها ذلك، ففعلت.

فقال: الاسترخاء والكسل مرض يعترض البدن، فالنوم دواء له.

فاستحسننت جوابه، ولما أردت الخروج من الدير، استوقفتني وقال: يا أبا الهذيل! اسمع مني مطلباً كبيراً.

قلت له: قل.

قال: ماذا تقول في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وهل أنه أمين وصادق عند أهل السماء

والأرض؟

قلت: نعم.

قال: أراد الاختلاف في أمته أو الاتفاق؟

قلت: كان يحب الوفاق والاتفاق، وفي تأييد جوابي، قرأ الآية: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)). (١)

ثم قال: ألم يوص في مرض موته، ألم يقل: هذا خليفتي؟ أو عين خليفته وصرح باسمه؟

فلم أجب.

١٣

عقيل يبدي مخازيهم

كان عقيل بن أبي طالب أعلم قريش بالأنساب والأعمال والأيام وحوادث قريش، وكانت قريش - بعضهم - تكرهه وتعاديه، لأنه يتحدث بعيوبها وقبائحها أمام الملأ.

فكان يأتي مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيفرش له بساط مخصوص ليجلس عليه، وكان الناس يجتمعون حوله، ويسألونه عن أنساب العرب وأيامها، فكان يظهر لهم عيوبهم، ويكشف سواتهم، لهذا فقد عادوه، ونسبوا إليه الأباطيل، ونقلوا في حقه أحاديث مفتعلة وقصص لا أساس لها من الصحة.

* أقول: كان عقيل يفضح هؤلاء المنافقين المستترين بالعبادة الإسلامية، ويرى ذلك كله أنه واجب شرعي عليه، حتى لا يتلوث الأبرياء بمجالستهم ومخالطتهم، ومن ثم يسري داؤهم إليهم، وكان يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم.

١٤

الأصنام الخشبية

روى الطبري في تاريخه: أن عليا (عليه السلام) عند ما هاجر إلى (قبا) يومي الاثنين والثلاثاء، حل ضيفا على أم كلثوم بنت هدم، فرأى عند ظلام الليل رجلاً وقد طرق عليها الباب وأعطها شيئا وذهب. فسأل الإمام (عليه السلام) أم كلثوم عن هذا الموضوع. فقالت: هذا الرجل هو سهل بن حنيف، وبما أنه يعلم من حالي أن لا معيل لي، فيغير على أصنام القوم ويكسرها ليلا، ويأتي بها إلي لانتفع منها وأصيرها حطباً. ومن ذلك كان الإمام (عليه السلام) يحترم سهلاً ويجله. فانه كان: بدرياً من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن خلص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان والياً له على المدينة، توفي عند رجوع علي (عليه السلام) من صفين وقد اشتد الحزن بالإمام عندما وصل إليه نبأ وفاة سهل.

١٥

ملك يحج عنك كل عام

ذكر العلامة في كتاب منهاج اليقين في فضائل مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) بإسناده إلى عبد الله بن المبارك قال:

كنت ولعاً بحج بيت الله الحرام، شديد المداومة في كل عام على حضوره، ففي بعض السنين لما قرب التأهب للحج تاهبت أنا أيضاً، فقامت وشدت على وسطي كيساً فيه خمسمائة دينار وخرجت إلى سوق الإبل لأشتري جمالاً للحج، فلم يقع في يدي ما يصلح للطريق، فرجعت إلى المنزل فرأيت في الطريق امرأة جلست على مزبلة، وقد أخذت دجاجة ميتة كانت على الكناسة وهي تنتف ريشها من حيث لا يشعر بها أحد.

فوقفت قريباً منها وقلت: لم تفعلين هكذا يا أمة الله؟

فقلت: امض لشأنك واتركني.

فقلت: سألتك بالله إلا أعلمتني بحالك.

فقلت: نعم إذ ناشدتنني بالله فاعلم إنني امرأة علوية ولي ثلاث بنات علويات صغار وقد مات قيماً، ولنا ثلاث ليال بأيامهن على الطوي لم نطعم شيئا ولم نجده، وقد خرجت عنهن وهن يتضررن جوعاً لألتمس لهن شيئا فلم يقع بيدي غير هذه الدجاجة الميتة، فأردت إصلاحها لنأكلها فقد حلت لنا الميتة.

فلما سمعت ما قالت وقف شعري واقشعر جلدي، وقلت في نفسي: يا ابن المبارك أي حج اعظم من هذا..

فقلت لها: أيتها العلوية إن هذه الدجاجة قد حرمت عليك، فافتحي حجرك حتى أعطيك شيئا من النفقة، ثم حلت الكيس وصببت الدنانير في حجرها بأجمعها.

فقامت مسرورة عجلة ثم دعت لي بخير.

فرجعت إلى منزلي ونزع الله إرادة الحج من قلبي، فلزمت منزلي واشتغلت بعبادة الله تعالى.

وخرجت القافلة إلى الحج..

فلما قدم الحاج من مكة خرجت للقاء الحجاج والإخوان، فصافحتهم فكننت لم ألق أحداً ممن يعرفني إلا وهو يقول لي: يا بن المبارك ألم تكن معنا، ألم أشاهدك كذا في موقف كذا؟

فتعجبت من ذلك!

فلما رجعت وبت تلك الليلة رأيت في منامي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول: يا بن المبارك أنت أعطيت الدنانير لابنتنا، وفرجت كربتها وأصلحت شأنها وشأن أيتامها، فبعث الله تعالى ملكاً على صورتك فهو يحج عنك في كل عام، ويجعل ثواب الحج لك إلى يوم القيامة، فانتبهت وأنا أحمد الله تعالى على هذا التوفيق.

قال الراوندي: ولقد سمعت من كثير من المحدثين يذكرون: أن الحجاج في كل عام يشاهدون ابن المبارك بمكة يحج مع الحجاج وأنه لمقيم بالعراق.

١٦

علي (ع) بمنزلة هارون

روى البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، قالا: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في غزوة تبوك: (ليس لي إلا أن يبقى أحدنا في المدينة) فخلفه في المدينة وانطلق إلى تبوك. فأشاع بعض المنافقين من أهل المدينة خبراً مفاده: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ظهرت كراهته لعلي (عليه السلام)، ولم يكن راضياً منه من قبل.

فلما سمع علي (عليه السلام) ذلك تبع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلحق به.

فلما رآه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: ما الذي أقدمك؟

قال (عليه السلام): لا لشيء وإنما سمعت البعض يقول: كره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذته معه، واستخلفه في المدينة.

فتبسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست بنبي. (١)

ولا يخفى أن حديث المنزلة من الروايات المتواترة عند الفريقين ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدة موارد.

* البراء بن عازب الأنصاري: صحابي، حضر مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعة عشر غزوة من

١- راجع المناقب ج ٣ ص ١٦ وفيه: (أفلا ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

غزواته، وكان مع علي (عليه السلام) في معركتي الجمل وصفين، فتح الري صلحاً سنة (٥٢٤هـ)، سكن الكوفة أخيراً، وتوفي في أيام مصعب بن الزبير.

١٧

إمام جماعة

تشرف سلمة الجرمي مع نفر من قومه بخدمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعلنوا إسلامهم، وتعلموا القرآن، وعند عودتهم إلى أهلهم قالوا: يا رسول الله! من يصلي بنا؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أكثركم تعلماً للقرآن. قال سلمة: فلما رجعنا إلى وطننا، رأوني أني أكثرهم تعلماً للقرآن، واحفظهم له، فوقع اختيارهم عليّ وصرت إماماً لصلاة الجماعة، وحتى اليوم.

١٨

الرسول (ص) يكسر الأصنام

روى جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل المسجد الحرام يوم فتح مكة وكان يحمل بيده عصا قصيرة، فرأى أصناماً قد نصبت حول الكعبة للعبادة، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يمر بكل صنم ويضربه بعصاه على صدره فيقع على الأرض. كما أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع علياً (عليه السلام) على كتفه فكسر باقي الأصنام. وهجم المسلمون على تلك الأصنام بالسهام وهشموها، وأخرجوها من المسجد، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ هذه الآية: ((وتمت كلمة ربك صدقا وعدلاً لا مبدل لكلماته)) (١). وفي رواية كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ: ((وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)).

(٢)

١- سورة الأنعام: ١١٥.

٢- سورة الإسراء: ٨١.

١٩

هكذا كلاب بلخ

يقال: إن إبراهيم بن ادهم قال لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟
قال: تركتهم إن أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء.

فقال إبراهيم: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا.
فقال شقيق: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟
فقال: الفقراء عندنا إن منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا.
فقبل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ.

٢٠

الإيثار

روى حذيفة بن عدي: أن في غزوة تبوك هلك بعض العسكر من غلبة العطش، وإني أخذت ماء فطلبت ابن عمي فوجدته لم يبق له من العطش إلا نفس، فعرضت عليه الماء.
فقال: أبلغه إلى هشام واسقه.
فدنوت منه وعرضت عليه الماء فأحاله إلى آخر وقال: اسقه.
فلما دنوت من الثالث وجدته قد فارق روحه عطشا، فرجعت إلى هشام لأسقيه فرأيته قد مات عطشا، فرجعت على ابن عمي فوجدته مضى من الدنيا عطشا.

٢١

جواب بهلول

إن البهلول أتى إلى المسجد يوماً وسمع أن رجلاً عالماً يقرر للناس علومه، فقال في جملة كلامه: إن جعفر بن محمد تكلم في مسائل ما يعجبني كلامه، منها:
انه يقول: إن الله سبحانه موجود لكنه لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهل يكون موجود لا يرى؟ ما هذا إلا تناقض.
الثانية: انه قال: إن الشيطان يعذب في النار، مع أن الشيطان خلق من النار فكيف الشيء يعذب بما خلق

منه؟

الثالثة: انه يقول: أفعال العباد مستندة إليهم، مع أن الآيات دالة على انه تعالى فاعل كل شيء.

فلما سمعه البهلول أخذ مدرة وضرب بها رأسه وشجه، فصار الدم يسيل على وجهه ولحيته.

فبادر إلى هارون يشكو من البهلول.

فلما احضر البهلول وسئل عن السبب، قال لهارون: إن هذا الرجل غلط جعفر بن محمد (عليه السلام) في

ثلاث مسائل:

الأولى: إن هذا الرجل يزعم أن الأفعال كلها لا فاعل لها إلا الله، فهذه الشجة من الله سبحانه وما تقصيري

أنا؟

الثانية: إنه يقول: كل شيء موجود لا بد وأن يرى، فإذا كان الوجود موجوداً في رأسه فلماذا لا يرى.

الثالثة: إنه مخلوق من التراب وهذه المدرة أيضاً من التراب وهو يزعم الجنس لا يتعذب بجنسه فكيف تألم

من هذه المدرة؟

فأعجب هارون كلامه! وخلصه من شجة الرجل.

٢٢

أول طلاق خلع في الإسلام

بينما ثابت بن قيس يسير مع أصحابه، إذ أبصرته زوجته حبيبة بنت سهل من بعيد، فرأته أقبحهم شكلاً، وأقصرهم قامة، فكرهت ذلك منه، وجاءت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: يا رسول الله! ما أنا وثابت، والله لا يجمعني وإياه فراش واحد، لا أعيبه في دين ولا خلق، وإنما أبصرته من بعيد، يماشي صحبا له، فرأيته أسودهم لوناً، وأقصرهم قامة، فكرهت لنفسي أن أعاشره.

فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أتردين عليه حديقته؟ أي المهر؟

قالت: أردت وأزيد.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أما الزيادة فلا.

فاستدعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثابتاً، وفرق بينهما وهو أول طلاق خلع في الإسلام.

٢٣

دينه الدراهم

روي أن معاوية كان قد أعطى سمرة بن جندب من بيت المال مائة ألف درهم على أن يخطب سمرة في أهل الشام ويشهد كذباً بأن قوله تعالى: ((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه

وهو ألد الخصام)) (١) أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وآية: ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله)) (٢) أنها نزلت في ابن ملجم.

فلم يقبل سمرة هذا العرض، فبذل معاوية له مائتي ألف درهم، فرفضها، فبذل له أربعمئة ألف درهم، فقبل، وخطب بها فيهم.

* سمرة بن جندب: هو آخر الثلاثة موتا، وقد قال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أخركم موتا في النار) (٣).

وهو أحد العشرة الذين قال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أحدكم ضرسه في النار مثل أحد (٤). وهو الذي عرض عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدل نخلته التي كانت في حائط الأنصاري قيمتها فأبى، ثم نخلة في الجنة بذلها فأبى، ثم من الثواب ما هو كذا وكذا فأبى، فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنك رجل مضار ولا ضرر ولا ضرار)، وأمر بقطع نخلته بلا ثمن (٥).

وهو الذي كان يبيع الخمر وقد حرم الله ذلك. وهو الذي أسرف في القتل بأمر معاوية، وقد أقر معاوية سمرة بعد زياد سنة أشهر ثم عزله، فقال سمرة: لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية، ما عذبتني أبدا. ومات شرميتة.

٢٤

الحاكم العادل

لما جعل سلمان الفارسي واليا على المدائن، ركب حماره وعزم على السفر إليها لوحده. ولما وصل الخبر لأهل المدائن، هرعوا لاستقباله خارج المدينة، وبعد أن طوى المسافة وهو شيخ كبير وكان يمتطي حمارا له، أصبح وجهها لوجه مع مستقبلية من أهل المدائن.

فسألوه: أيها الشيخ! أين وجدت أميرنا؟

قال: من هو أميركم؟

قالوا: سلمان الفارسي من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: أنا سلمان ولست بأمير. فارتجل الناس إكراما وإجلالا له، وقدموا له من الخيول الأصيلة لركوبه.

فقال: ركوب هذا الحمار أفضل عندي ومناسب لشأني.

١- سورة البقرة: ٢٠٤.

٢- سورة البقرة: ٢٠٧.

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٧٨ فصل في ذكر المنحرفين عن علي (عليه السلام)، والمناقب ج ١ ص ١١٠ فصل في معجزات أقواله (عليه السلام)

٤- المناقب ج ١ ص ١١٠ فصل في معجزات أقواله (عليه السلام).

٥- وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٤١ ب ١٢ ح ٤ ط الإسلامية، والوسائل ج ٢٥ ص ٢٩ ب ١٢ ح ٣٢٢٨٢ ط مؤسسة آل البيت.

ولما وصل المدينة أرادوا أن يأخذوه إلى دار الإمارة،
فقال لهم: أنا لست بأمير حتى أذهب لدار الإمارة، فاستأجر دكانا في السوق، يدير أمور الدين والدنيا منه،
وكان ما يملكه من الأثاث: وسادة، وإناء ماء، وعصا.

٢٥

حق العيال

عاد سلمان الفارسي في المدينة يوما أبا الدرداء فعلم ان زوجته على غير ما عليه النساء...
فسألها: لم هذا؟
فقالت: إن أخاك قد شغلته الآخرة عن الدنيا.
فجلس سلمان حتى جاء أبو الدرداء فرحب به، وجاء له بالطعام، فقال له سلمان: كل أنت أولا.
فقال: أنا صائم، وأقسم عليك إلا ما أكلت.
فقال سلمان: لا أكل إن لم تأكل معي.
فبقى سلمان عند أبي الدرداء تلك الليلة.
فلما صار الليل قام أبو الدرداء للعبادة..
فاعترضه سلمان وقال: إن لله عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك وعيالك عليك حقا، فصم وكل،
وصل ونم.

فلما أصبح أبو الدرداء جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقل له ما قاله سلمان، فصدق رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلام سلمان.
* أبو الدرداء: اسمه عويمر بن زيد الأنصاري، صحابي معروف، كان من علماء الصحابة، قيل: توفي قبل
مقتل عثمان بسنة، وقال ابن قتيبة: كان أبو الدرداء حيا إلى حين ما جرى بين علي (عليه السلام) ومعاوية.

٢٦

يلعب الشطرنج ويشرب الفقاع

روى الفضل بن شاذان قال: سمعت من الإمام الرضا (عليه السلام) انه قال: لما جاء برأس الحسين (عليه
السلام) إلى الشام، أمر يزيد (عليه اللعنة) أن يوتى بسفرة الطعام، ويوضع الرأس المطهر في وسطها.
وكان هو وأصحابه يأكلون من الطعام ويشربون من ماء الشعير، وبعد أن فرغوا من الطعام، أمر أن يوضع
الرأس الشريف في طشت، ويجعل فوق بساط الشطرنج، أمامه.
وكان يزيد يلعب بالشطرنج، ويذكر حسينا وأباه وجده، مستهزأ بهم، وكلما غلب مسابقته تناول كأسا من

ماء الشعير ويشرب - ثلاث جرعات -، ويترك الباقي في الطشت الذي فيه رأس الحسين (عليه السلام).
فعلى كل من يدعي حبنا وشيعتنا أن يجتنبوا الفقاع واللعب بالشطرنج، وعند رؤية ذلك يتذكر الحسين، ويلعن
يزيد وأتباعه، حتى يمحو الله بهذه الوسيلة ذنوبه.

٢٧

وعند الاحتضار

كان عبد الملك بن مروان في قصره عند الاحتضار، فأشرف على نهر بردى، وفي أثناء ذلك وقع بصره على
فقير وهو يغسل ملابس الناس، فقال عبد الملك عند ذلك: ليتني كنت مثل هذا الفقير البائس الذي يكسب رزقه
يوما بيوم، ولم أتصد للخلافة، وكان ينشد أشعار أمية بن الصلت:
كل حي وان تطاول دهرا***أيل أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل يومي هذا***في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فلما بلغ أبو حازم الزاهد هذا الكلام، قال: شكرا لله، عند الموت يتمنون مقامنا وما نحن عليه، ونحن لم نتمن
حالهم أبدا.

* عبد الملك بن مروان: من خلفاء بني أمية المتجبرين، كان قبل ان يتولى الخلافة، يسمى ب (حمامة
المسجد) لما كان يتظاهر من الصلاة دائما في المسجد وقراءة القرآن، ببيع له في أول شهر رمضان من سنة
٥٦٥هـ، وتوفي يوم السبت ١٤ شوال سنة ٨٦ هـ.

٢٨

موسى (ع) والشيطان

روي أن موسى (عليه السلام) كان جالسا يوما، إذ دخل عليه شيطان وعلى رأسه فتاع فلما قرب منه وضع
الفتاع من رأسه احتراما له، وتقدم إليه وسلم عليه. فقال له موسى: من أنت؟
قال: أنا إبليس، جئت لاحترامك، والسلام عليك تقربا إلى الله.
فسأله موسى: ما هذا الذي على رأسك؟
قال: لأجلب قلوب بني آدم.
فقال موسى: من أي الأعمال التي يقوم بها أولاد آدم تكون أنت أكثر نجاحاً.
قال: إذا كان مغترا بنفسه، وعظم عمله، ونسي ذنوبه. ثم قال: يا موسى! أخوفك من ثلاثة أشياء.
١: أن لا تخلو بامرأة أجنبية، لأنه لا يكون المرأة والرجل الأجنيبان يخلو بعضهما بالآخر، إلا كنت معهما،
حتى أوقعهما في الفتنة.

٢: وإذا عاهدت الله عهداً ووثقت ميثاقاً فأوف بعهدك وميثاقك.

٣: وإذا أخرجت صدقة من مالك فجعل بصرفها على مستحقها، وإلا صرفتك عنها.

٢٩

يحيى (ع) يطلب الموعدة

قال الإمام الصادق (عليه السلام): جاء رجل إلى عيسى (عليه السلام) وقال: يا روح الله! أنا زني، فطهرني بحد الله.

فأمر عيسى (عليه السلام) أن يحضر الناس ليطهروه، فلما حضر الناس حفروا حفرة، ووضعوا الرجل المقصر فيها.

فقال عيسى (عليه السلام): كل من في ذمته حد إلهي لا ينبغي أن يحد هذا الشخص، فرجعوا كلهم إلا يحيى وعيسى (عليهما السلام).

فجاء يحيى (عليه السلام) إلى الرجل المقصر، وقال: عظني، قال: لا تترك نفسك لشهواتها فتكون من الهالكين.

فقال له: زدني.

قال: لا تلم من أذنب ذنباً؟

* ولا يخفى أن إجراء حد الزنا له أكثر من أربعين شرطاً ذكرناها في الفقه، وحيث يتعذر حصول هذه الشرائط إلا النادر جداً فقد يكون تخويفاً أقرب من كونه تطبيقاً (١).

٣٠

من وصايا لقمان

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني كذب من يقول: الشر يقطع بالشر، ألا ترى أن النار لا يطفئ بالنار ولكن بالماء، وكذلك الشر لا يطفئ إلا بالخير.

يا بني: إنك من حين سقطت من بطن أمك استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة، وأنت في كل يوم إلى ما استقبلت أقرب منك إلى ما استدبرت، فتزود لدار أنت مستقبلها، وعليك بالتقوى فإنه أريح التجارات، وإذا أحدثت ذنباً فاتبعه بالاستقالة والندم والعزم على ترك العود لمثله، واجعل الموت نصب عينيك والوقوف بين يدي خالقك، وتمثل شهادة جوارحك عليك بعملك والملائكة الموكلين بك، لتستحي منهم ومن ربك الذي هو مشاهدك.

١- وتفصيل الكلام في الفقه، راجع موسوعة الفقه ج ٨٧ - ٨٨ كتاب الحدود والتعزيرات.

وعليك بالموعظة، فاعمل بها، فإنها عند العاقل أحلى من العسل الشهد، وهي على السفية أشق من صعود الدرجة على الشيخ الكبير.

ولا تسمع الملاهي فإنها تنسيك الآخرة، ولكن أحضر الجنائز وزر القبور وتذكر الموت وما بعده من الأهوال فتأخذ حذرك.

يا بني: من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المراء يشتم، ومن يداخل السوء يتهم، ومن يصاحب السوء لا يسلم، ومن يجالس العلماء يغتم.

يا بني: لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

يا بني: لا تشمت بالمصائب، ولا تعير المبتلى، ولا تمنع المعروف فإنه ذخيرة لك في الدنيا والآخرة.

يا بني: الظلم ظلمات ويوم القيامة حسرات، وإذا دعيت القدرة على ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله عليك.

قال الشاعر:

كن غريباً واجعل ال***دنيا سبيلاً للعبور

واعدد النفس طوى ال***دهر من أهل القبور

وارفض الدنيا ولا***تركن إلى دار الغرور

وقال الآخر:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره***ونال من الدنيا سرورا وانعما

كبان بنى بنيانه فآتمه***فلما استوى ما قد بناه تهتما

٣١

أبو ذر وهدية الخليفة

أرسل عثمان أيام خلافته مع غلامه مائتي دينار إلى أبو ذر، وقال له قل له: عثمان يبلغك السلام ويقول: استعن بها على حاجتك.

فقال أبو ذر: فهل أعطى الخليفة سائر المسلمين مثلي: مائتي دينار؟

فقال: لا.

فقال: أنا أحد المسلمين يصيبني ما أصابهم.

فقال الغلام: يقول لك عثمان: إن هذه الدنانير من مالي الخاص، والله لم يخالفها حرام.

فقال أبو ذر: لا حاجة لي بها، وأنا مستغن عما في أيدي الناس.

فقال له: عافاك الله! لا نرى في منزلك شيئاً؟

قال: في هذا الطبق قرصان من الخبز، يكفياني بعض الأيام، فماذا أفعل بهذه الدنانير.

والله، لا أقبلها أبداً، حتى يشهد الله أنني لا أملك شيئاً، وأني لأحوج الناس في ولاية علي بن أبي طالب (عليه

السلام) وعترته الطاهرين، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (يقبح من الشيخ الكبير أن

يكون كاذباً) (١) ارجعوا بها إلى عثمان، وأبلغوه: بأنه لا حاجة لي عنده، ولا أطلب منه شيئاً، حتى ألقى ربي ويفضي بيني وبين عثمان.
قال: إذا أخذته ففيه عتقي.
قال أبوذر: لكن فيه رقي.

٣٢

حلم الإمام الحسن (ع)

كان الإمام الحسن (عليه السلام) جالسا مع جماعة أمام منزله، فمر عليهم سفيان بن ليلى، وقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال (عليه السلام): عليك السلام يا سفيان!

فنزل عن مركبه وترجل، وربط بغيره، وجلس.

فقال: له الإمام (عليه السلام): ما الذي قلت يا سفيان؟

قال: قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

قال (عليه السلام): ما هذا الكلام الذي جرى على لسانك؟!

قال: فذاك أبي وأمي، والله لقد أصبحنا أذلاء يوم صالحت هذا الظالم، وجعلت أمور الناس بيد ابن هند آكلة الأكباد، مع انه لك مائة ألف من الرجال شاهرين سيوفهم، وما يقتلون إلا قبل أن تقتل، ويجمع الله لك أمر الناس.

فقال (عليه السلام): يا سفيان! نحن أهل بيت متى تبين لنا الحق نعمل به، سمعت من أبي علي (عليه السلام) يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول: لا تنقضي الأيام والليالي حتى يكون أمر هذه الأمة في يد رجل عظيم البطن واسع البلعوم يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه نظر رحمة، ولا يموت حتى لا يرضى به أحد من أهل السماء، ولا يريده أهل الأرض، وهذا هو معاوية، وأنا أعلم أن الله تعالى عمل بإرادته (٢).

١- مجموعة ورام ج ٢ ص ١٩.

٢- راجع الاختصاص ص ٨٢ فصل سفيان بن ليلى الهمداني، وفيه: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمتي رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية)، الحديث.

صالحت كما صالح جدي

روى صاحب كتاب (علل الشرائع) عن أبي سعيد قال: قلت للحسن بن علي (عليهما السلام): يا بن رسول الله! لم سكتَ عن معاوية وصالحته، مع أنك الخليفة الحق، وهو ضال مضل وظالم؟ فقال (عليه السلام): يا أبا سعيد! ألم أكن حجة الله، وإمام الناس بعد أبي؟ قلت: بلى، أنت كذلك.

قال (عليه السلام): ألم أكن ممن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيّ وفي أخي: الحسن والحسين إماما حق قاما أو قعدا. (١)
قلت: بلى.

فقال (عليه السلام): فأنا إمام قمت أو قعدت.

يا أبا سعيد! علة مصالحتي معاوية هي نفس العلة في تصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع بني ضمرة، وبني أشجع، وأهل مكة في الحديبية، فهؤلاء كانوا كفارا بنزول القرآن من جانب الله، وهؤلاء كفار بتأويله.

يا أبا سعيد، بما أني إمام، فلا ينبغي أن يسفه رأيي، سواء ما يرجع إلى الصلح، أو ما يرجع إلى الحرب وإن كنت لا تدري ما الحكمة من ذلك.

ألم تر أن الخضر قد ثقب السفينة وقتل الغلام، وهدم الحائط، فتألم موسى واعترض عليه، لأنه لا يدري ما الحكمة من ذلك، ولما بين له الخضر الحكمة من ذلك، رضي موسى منه.

وأنتم تلومونني ولم ترضوا بما هو عندي، لأنك لم تدر ما الحكمة من ذلك، فإذا لم أصالح معاوية، لم يبق أحد منكم - من الشيعة - حياً على وجه الأرض. (٢)

أقول: قد ذكرنا في كتاب (الحسن والحسين عليهما السلام إمامان) بعض علة هذه المصالحة المباركة التي مهدت السبيل لقيام الحسين (عليه السلام) وقطع جذور أمثال معاوية إلى الأبد.

١- دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧ فصل ذكر إيجاب الصلاة على محمد وعلى آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٢- راجع الطرائف ص ١٦٩ فصل العلة التي من أجلها صالح الحسن (عليه السلام) معاوية وفيه: (كما رواه عنه أبو سعيد.. قال: قلت للحسن بن علي ابن أبي طالب (عليه السلام): يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وإن معاوية ضال باغ، فقال: يا أبا سعيد ألسنت حجة الله على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي (عليه السلام)، قلت: بلى، قال: الست الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لي ولأخي (هذان ولدي إمامان قاما أو قعدا) قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي معاوية علة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ولم يجز أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، لا ترى الخضر (عليه السلام) لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطت عليّ بجهلكم بوجه الحكمة ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل، الحديث.

٣٤

معاوية في قصره الخضراء

لما وصل الخبر إلى معاوية بقبول الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح، كبر فكبّر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة زوجة معاوية من خوذة لها، فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك، فسرت به؟

قال: مبشر جاء يبشّرني بأن الحسن بن علي قد قبل الصلح، وسلّم لي الخلافة، فتذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ ابني هذا سيد أهل الجنة، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين). (١)

* أقول: هذا الحديث قد يكون موضوعاً، وضعه معاوية ونسبه إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليبعد عن نفسه وأتباعه حديث الفنة الباغية (٢) الذي وصم به، فحرف عن لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلمة فئتين عظيمتين من المؤمنين، ليجعل نفسه من المؤمنين!

٣٥

من أجود الناس؟

عن الهيثم بن عدي قال: تنازع ثلاثة في أجود الناس، فقال رجل: اسخى الناس في عصرنا هو عبد الله بن جعفر.

وقال الآخر: عرابة الأوسي.

وقال الثالث: قيس بن سعد بن عبادة.

فقال لهم رجل: ليمض كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله، ثم يرجع حتى ننظر ما يعطيه، ونحكم بذلك.

فقام صاحب عبد الله بن جعفر فرآه واضعاً رجله في الركاب يريد ضيعة له فقال صاحبه: يا بن عم النبي ابن سبيل منقطع.

قال: فأخرج رجله من الركاب، وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة، وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار.

ومضى صاحب قيس فوجده نائماً، فقالت له جاريته: ما حاجتك؟

فقال: ابن سبيل منقطع.

١- راجع الطرائف ص ١٩٩ فصل العلة التي من أجلها صالح الحسن (عليه السلام) معاوية وفيه: (إنّ ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)، الحديث.

٢- إشارة إلى ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمار بن ياسر: (ستقتلك الفنة الباغية).

فقال له الجارية: حاجتك أهون من إيقاظه هذا كيس فيه سبعمان دينار، وما في دار قيس اليوم غيره، وامض إلى معاظن الإبل بعلامة كذا إلى من فيها، فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها، وعبدا وامض لشأتك. ومضى صاحب عرابة فوجده كفي بصره وقد خرج من منزله يريد الصلاة ومعه عبدان يقودانه. فقال: يا عرابة ابن سبيل منقطع. فصفق بيده اليمنى على اليسرى، وقال: آه آه. فقال: والله ما تركت لي الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدین. فقال الرجل: والله ما كنت الذي أقص جناحيك، فقال: إن أخذتهما وإلا فهما حران، فإن شئت فخذ وإن شئت فاعتق، ثم ولي يخبط الحائط، فأخذ الرجل العبدین ومضى. فلما رجعوا وذكروا القصة حكموا لابن جعفر لأنه أعطى أكثر من كلهم.

٣٦

من وصايا رسول الله (ص)

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ستة أشياء حسن ولكنها من ستة أحسن: العدل حسن وهو من الأمراء أحسن، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن، والورع حسن وهو من العلماء أحسن، والسخاء حسن وهو من الأغنياء أحسن، والتوبة حسنة وهي من الشباب أحسن، والحياء حسن وهو من النساء أحسن، وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمرة لها، وغني لا سخاء له كمكان لا نبت له، وشاب لا توبة له كنهز لا ماء له، وامرأة لا حياء لها كطعام لا ملح له. (١) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: خلق الله تعالى ملكا تحت العرش يسبحه بجميع اللغات المختلفة فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا ويطلع إلى أهل الأرض ويقول: يا أبناء العشرين لا تغرنكم الدنيا، يا أبناء الثلاثين اسعوا وعوا، يا أبناء الأربعين جدوا واجتهدوا، يا أبناء الخمسين لا عذر لكم، يا أبناء الستين ماذا قدمتم في دنياكم لآخرتكم؟ يا أبناء السبعين زرع قد دنا حصاده، يا أبناء الثمانين أطيعوا الله في أرضه، يا أبناء التسعين أن لكم الرحيل فتزودوا، يا أبناء المائة أتتكم الساعة وأنتم لا تشعرون، ثم يقول: لولا مشايخ ركع وفتيان خشع وصبيان رضع لصب عليكم العذاب صباً (٢).

٣٧

فرقوا بينهما

أمر معاوية بإحضار عبادة بن الصامت، فلما دخل عبادة عليه جلس بينه وبين عمرو بن العاص، فحمد

١- إرشاد القلوب ص ١٩٣ الباب الثاني والخمسون في أحاديث منتخبة.

٢- إرشاد القلوب ص ١٩٣ الباب الثاني والخمسون في أحاديث نتخبة.

معاوية الله وأثنى عليه، وذكر بعض فضائل عبادة وعثمان، وأخذ يرغب عبادة في الطلب بدم عثمان، ويدعوه إليه.

فقال عبادة: سمعت كلامك، وهل علمت لم جلست بينك وبين عمرو؟

فقال معاوية: نعم، لما لك من الفضل والشرف والسابقة.

قال عبادة: لا والله، ليس لهذا، ولكن عندما ذهبت إلى غزوة تبوك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لنا يوما، وقد رأك وعمرو تمشيان على مهل وتتحدثان، فالتفت (صلى الله عليه وآله وسلم) إلينا، وقال: إذا رأيتموها قد اجتمعا ففرقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير أبدا (١) وأنا قد نهيت عن اجتماعكما.

* عبادة بن الصامت: صحابي أنصاري، حضر العقبة الأولى والثانية، وشارك في جميع غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أرسله عمر مع معاذ بن جبل وأبو الدرداء لتعليم أهل الشام، توفي سنة ٣٤ هـ، وقيل ٤٥ هـ.

٣٨

بايع رجلي

لما دخل الحجاج بن يوسف مكة ليقضي على عبد الله بن الزبير، جاءه عبد الله بن عمر ليلا، وقال: أعطني يدك لأبايع لعبد الملك، لأنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) (٢) فمد الحجاج رجله إليه، وقال له: بايع، لأن يدي مشغولة عنك الآن.

فقال عبد الله أتستهزئ بي؟! فأجابته الحجاج: يا أحمق بني عدي! ألم يكن علي بن أبي طالب إمام زمانك؟ لماذا لم تبايعه، وقد جنت اليوم بحديث (من مات ولم يعرف إمام زمانه...) والله، ما جنتني لهذا الحديث، وإنما جاء بك الخشبة التي فوقها عبد الله بن الزبير.

أقول: يقال: انه ندم عبد الله بن عمر على التخلف عن قتال معاوية وأصحابه، وروي: أنه قال حين حضرته الوفاة: ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أني لم أقاتل مع علي بن أبي طالب الفنة الباغية، كما أمرني الله.

١- راجع وقعة الصفين ص ٢١٩ الجزء الرابع من كتاب صفين لنصر بن مزاحم وفيه: (إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير)، الحديث.

٢- هذا الحديث مشهور بين جميع الفرق الإسلامية، شيعة وسنة. راجع (الغدير) للعلامة الاميني، والصحاح لأهل السنة.

أبو أيوب الأنصاري

روى إبراهيم بن علقمة والأسود قالاً: جننا أبا أيوب الأنصاري وقتلنا له: يا أبا أيوب قد أكرمك الله بصحبة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وينزوله عليك، فما لنا نراك قد خرجت مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتستقبل الناس تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء أخرى؟

فقال: والله، إنني لفي هذا المنزل، الذي جلس فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) عن يمينه، وأنا على يساره، وكان أنس بن مالك واقفاً أمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمعنا صوت حلقة الباب، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنس: من على الباب؟

فذهب أنس وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن الطارق هو عمار بن ياسر.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنس: افتح الباب لعمار ليدخل.

فلما دخل عمار وسلم وجلس، قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): سيكون بعدي اختلاف أمتي: يتضاربون بينهم بالسيف، ويتقاتلون، فعند ذلك ألزم جانب هذا الجالس عن يميني - يعني علي ابن أبي طالب (عليه السلام) - فإذا سلك الناس وادياً، وسلك هذا وادياً، فالزم وادي علي، يا عمار، إن علياً لا يخرجك عن هداية، ولا يدخلك في ضلالة، يا عمار: طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله. (١)

* أبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن يزيد، دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منزله يوم الهجرة، شارك في غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودافع عن حق أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحضر حروب علي (عليه السلام)، وفي سنة ٥١ هـ كان في العسكر الذي عزم على غزو القسطنطينية وشارك فيه، وتوفي أثناء السفر، ودفن جنب حصار القسطنطينية.

وفي الحديث ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حق عمار: (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق)، وهكذا عرف به الصحابي الكبير حذيفة بن اليمان، حيث سئل عن الفتنة وانشقاق الأمة فرقاً، فقال: انظروا الفئة التي فيها ابن سمية - عمار - فاتبعوه، فإنه يدور مع كتاب الله حيث دار، إنها معجزة النبوة... فقد علم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عماراً سيكون قطباً من الأقطاب التي يدور عليها اختلاف الناس، فسوف يكون له أعداء يحاربونه بأكثر من سلاح، منها: أنهم سيتهمونه في عقيدته، ويزعمون أنه قد تأثر بشياطين الإنس فأغوته، ومالت به عن الرشاد، وسيصفونه بإثارة الفرقة والفتنة في هذه الأمة... وسيقاتلونه فيقتلونه. فرد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأول بإبلاغ أصحابه: أن عماراً قد أجاره الله من الشيطان!! فمن اتهم عماراً بشيء من ذلك فكذبوه، واعلموا انه مفتر..

ورد على الثاني فقال: (إذا اختلف الناس، كان ابن سمية مع الحق، يدور مع كتاب الله حيث دار) فإذا رأيت فئة تخالف عماراً، فاعلموا أن تلك هي فئة الباطل والضلال! وإذا دعاهم عمار إلى شيء فردوه وكذبوه فإنما يدعوهم إلى الحق، ويدعونهم إلى الباطل.

١- المناقب ج ٣ ص ٢٠٣ فصل في طاعته وعصيانه (عليه السلام). وتاويل الآيات ص ١٩٨ فصل في سورة الأنفال وما فيها من الآيات في الأمة الهداة.

وتعجب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمر الناس مع عمار، فقال: ما لهم ولعمار؟! يدعوهم إلى الجنة، ويدعونهم إلى النار (١).
ورد على الثالث، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تقتله الفئة الباغية) (٢) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (من يعاد عمارا يعاده الله، ومن يبغض عمارا يبغضه الله) (٣).

٤٠

أنا على الحق

روى حبة العرنى قال: كنت عند عمار حين استشهد، فصاح: إن هذا اليوم هو آخر أيامي من الدنيا. فجيء إليه بشراب من لبن..
فقال: اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه، والله لو ضربونا حتى بلغنا سعفات (هجر) لعلمنا أننا على الحق، وهم - معاوية وأتباعه - على الباطل، ثم استشهد عن عمر ناهز ال ٩٤ عاما.

٤١

أنت أبو تراب

قال عمار بن ياسر: في غزوة (ذو العشيرة) كنت مصاحبا لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ورفيقا له. فقال لي: انطلق معي إلى بني مدلج فإنهم يحفرون عينا لهم في البستان، ولننظر إليهم، فذهبت معه لننظر إليهم.
وكان قد غلب علينا النوم عند حفر العين في البستان، فنمنا على التراب، فما استيقظنا، إلا وقد حركنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برجله.
وفي هذا اليوم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لعلي: (أبو تراب) لأنه تمرغ بالتراب، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أخبركم عن أشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أشقى الناس رجل أحمَر اللون من قوم ثمود يقتل الناقة، ورجل يضرب هذا، وأشار بيده على رأس علي

١- راجع نهج الحق ص ٣٠٦ المطلب الرابع في مطاعن معاوية. وفيه: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية بصفين يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار) الحديث، وشبهه ورد في العمدة ص ٣٢٤ فصل حديث حريق الكعبة.
٢- المصدر السابق.
٣- راجع غوالي الثمالي ج ١ ص ١١٣ ح ٢٣ الفصل السابع، وفيه: (من يحقر عماراً يحقره الله ومن يسب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله).

(عليه السلام)، حتى تخضب هذه، ووضع يده على لحية علي (عليه السلام). (١)

٤٢

قزمان من أهل النار

روى الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة أحد: إن رجلا من الأصحاب، يدعى (قزمان) يعاون إخوانه في الدين ويساعدهم. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه من أهل النار. وبعد مدة جاءوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له: إن قزمان قد استشهد، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يفعل الله ما يشاء. وبعد ساعة جاءوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له: إن قزمان قد قتل نفسه. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أشهد أنني رسول الله (٢). * وتتخلص القصة بما يلي: إن قزمان قاتل بشهامة، وقتل ستا أو سبعا، وأصيب بجراحات عديدة، فأخذ إلى منزل بني ظفر، فقال المسلمون: بشراك يا قزمان! لقد جئت اليوم عملا عظيما! فقال لهم: بماذا تبشروني؟ والله، ما قاتلت إلا على الأحساب والأنساب، ولولا ذلك لما قاتلت، ولما كان يتألم من جراحاته أخرج منها سهما وقتل به نفسه.

٤٣

قتل مروان الحمار

روي أنه لما خرج السفاح في الكوفة، وبابعه الناس، جهز عسكرياً لمقاتلة مروان الحمار - آخر خلفاء بني أمية -. ففر مروان إلى قرية (أبي صبرة) فدخل كنسية وأخفى نفسه فيها، ثم إنه لم تمر أيام على اختفائه حتى علم ان غلامه قد دل عليه وأخبر أعداءه بمكان اختفائه. فأمر بقطع رأس الغلام وقلع لسانه، وجيء باللسان فوضع أمامه، وفي هذه الأثناء جاءت هرة فأكلت لسان الغلام. وبعد ذلك جاء عسكر السفاح يقودهم عامر بن إسماعيل فحاصر الكنيسة، فخرج مروان من الكنيسة وببده

١- راجع فضائل الأشهر الثلاثة ص ١١٠ ح ١٠١ كتاب فضائل شهر رمضان وفيه: (ينبعث اشقى أمتي شقيق عافر ناقة ثمود ثم يضربك ضربة على فرقك تخضب منها لحينك). الحديث.

٢- اعلام الورى ص ٨٥ فصل غزوة بدر الكبرى.

سيفه وقاتل حتى قتل.

فأمر عامر بقطع رأسه وقلع لسانه، ووضع اللسان أمامه، فجاءت الهرة التي أكلت لسان الغلام لتأكل لسان مروان.

فقال عامر: لو لم يكن في الدنيا شيء عجيب إلا هذا لكفى: لسان مروان الخليفة الأموي في فم هرة!!
ثم دخل عامر الكنيسة، وجلس على فرش مروان على المائدة، لأن مروان - أثناء هجوم عامر كان على مائدة الطعام مشغولاً بتناول طعام العشاء، فلما سمع صوت العدو خرج إليه وقتل، وبعد أن تناول عامر طعام العشاء، أحضر ابنة مروان لمنادمتها ليلاً.
فقال ابنة مروان: يا عامر! إن الدهر الذي أطاح بمروان وجاء بك مكانه، فأكلت من طعامه، وانتفعت بنوره، ليعظك موعظة كاملة، ويوقظك من نومك.
فخجل عامر من كلامها، وخلي سبيلها.
* قتل مروان سنة ١٣٣ هـ وحيث سمع أبو مسلم الخراساني من امتناع عامر عن مباشرة ابنة مروان زجره باعتبار أنها أمة وهي مباحة لمن ظفر بها، فأمر عامراً أن يصوم أياماً كفارة لتركه ابنة مروان.

٤٤

من قضى لأخيه حاجة

قال ابن عباس: كنت مع الحسن بن علي (عليه السلام) في المسجد الحرام وهو معتكف وهو يطوف حول الكعبة، فعرض له رجل من شيعته وقال: يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن عليّ ديناً لفلان، فإن رأيت أن تقضيه عني.

فقال (عليه السلام): ورب هذا البيت ما أصبح عندي شيء.

فقال: إن رأيت أن تستمهله عني، فقد هددني بالحبس.

فقال ابن عباس: فقطع الإمام الطواف وسعى معه.

فقلت: يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أأست إنك معتكف؟

فقال: بلى، ولكن سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (من قضى لأخيه

المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة صائماً نهاره وقائماً ليله). (١)

١- وفي مصادقة الإخوان ص ٥٢ فصل باب ثواب فضاء حوائج الإخوان: (ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة)، الحديث.

٤٥

علي (ع) وعلم الحساب

دخل يهودي على علي (عليه السلام): فقال: أخبرني عن عدد يكون له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمان وتسع وعُشر ولم يكن فيه كسر؟
فقال له علي (عليه السلام): ان أخبرتك تسلم؟
قال: نعم.
فقال (عليه السلام): اضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك.
فكان كما قال، فلما تحقق اليهودي من المسألة وصحتها ولم يكن فيه كسر أسلم.
والحاصل من الضرب: ألفان وخمسمائة وعشرون.

٤٦

التعامل مع الظلمة

عن صفوان بن مهران الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول (عليه السلام): فقال لي يا صفوان: كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً.
قلت: أي شيء جعلت فداك؟
قال (عليه السلام): اكرأوك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون العباسي -.
قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني.
فقال لي: يا صفوان، أيقع كراؤك عليهم؟
قلت: نعم جعلت فداك.
فقال لي: أتحب بقائهم حتى يخرج كراؤك؟
قلت: نعم.
قال: فمن أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم ورد النار.
قال صفوان: فذهبت وبعث جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني، وقال لي: يا صفوان، بلغني أنك بعثت جمالك.
قلت: نعم.
فقال: ولم؟
قلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال.
فقال: هيهات هيهات، إنني لأعلم من أشار عليك بهذا، موسى بن جعفر.

قلت: مالي ولموسى بن جعفر.

فقال: دع هذا عنك، فوالله لو لا حسن صحبتك لقتلتك.

٤٧

الحث على العمل

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أظن أن علي بن الحسين يدع خلقاً أفضل منه، حتى رأيت ابنه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه بأي شيء وعظك؟ فقال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقاني أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) وكان رجلاً بادنأً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين، فقلت في نفسي: سبحان الله! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا؟ أما أني لأعظنه، فدنوت منه، فسلمت عليه، فرد علي وهو يتصاب عرقاً، فقلت: اصلحك الله! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب الدنيا! أرايت لو جاء أجلك وأنت على هذا الحال؟!.

فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذا الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزوجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو أن جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله. فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

٤٨

الزرقاء ومعاوية

كان معاوية جالساً في إحدى الليالي مع عمرو بن العاص، وسعيد، وعتبة، فتذكروا الزرقاء بنت عدي بن غالب مع قومها، وحضورهم في معركة صفين. فقال معاوية: من يتذكر منكم كلامها؟ فقال بعضهم: أنا أتذكر ذلك. فقال له معاوية: قل لي: ما الذي أفعله معها؟ قال: أقتلها.

قال معاوية: بنس ما أشرت به علي، تريد مني أن أقتلها، حتى يقول الناس، إن معاوية بعد انتصاره قد قتل امرأة؟!.

فكتب معاوية إلى عامله في الكوفة: ابعث لي بالزرقاء بصحبة محارمها، واعرف لها قدرها ومكانتها. فلما وصلت الزرقاء إلى الشام، دخلت على معاوية، فرحب بها، وأكرم مجيئها، وعظم مقامها، واخذ يسألها،

فقال: كيف كان سفرك؟

قالت الزرقاء: بخير، مثل بيتي، وكأنني طفل في المهد.

فقال معاوية: أنا الذي أمرت بهذا.

ثم قال لها: أتدريين لم أحضرتك؟

قالت: ومن أين لي العلم به؟

فقال معاوية: ألم تكوني في صفين راكبة الجمل ذو الشعر الأحمر، وقد وقفت بين الصفين، وتحركين الناس

علي، وأنتك أشعلت نار الحرب؟

لماذا فعلت ذلك؟

فقالت الزرقاء: مات قائدنا علي (عليه السلام) وذهب ظاهراً مطهراً، ولم يرجع أبداً، والدهر دائما في تغيير

وتبديل.

فقال معاوية: أتتذكرين ما قلتيه في صفين؟

قالت: لا، والله لقد نسيت.

فقال معاوية: ولكنني أتذكر ما قلتيه، وهو: أيها الناس! راعوا الحق واتبعوه، لأن الفتنة قد أحيطت بكم،

لتخرجكم عن الطريق السوي، فتنة عمياء صماء خرساء، تدعوكم إليها وتصم مسامعكم، ولم تطع قائدها، فلا

ضياء للфанوس في مقابل الشمس، ولا نور للنجوم مع وجود القمر، ولا يأخذ الحديد غير الحديد، وكل من يريد

الدليل فسوف ندله، وكل من يسألنا شيئاً نجيبه.

أيها الناس! هذا هو اليوم الذي تطلبون فيه حقكم الضائع، يا معشر المهاجرين والأنصار! اصبروا على

الغصص، حتى تبدل الفرقة بالاجتماع، ويلتئم الكلام العدل، ويزهق الحق الباطل، واعلموا أن خضاب النساء

الحناء وخضاب الرجال الدم، اليوم له غد وعاقبة الصبر أفضل من كل شيء.

ثم قال لها معاوية: والله، يا زرقاء! أنت شريكة علي (عليه السلام) في هدر هذه الدماء التي أراقها.

فقالت الزرقاء: سلمك الله على ما بشرتني به، ومن مثلك يكون يبشر بالخير، ويفرح جليسه.

فقال معاوية: أياكون سرورك وفرحك بأن تكوني شريكة مع علي بإراقة الدماء!!

قالت: والله، ما سرني مثل هذا الخبر.

فقال معاوية: إن وفاءك لعلي بعد وفاته لأعجب من وفائك إياه في حياته، أذكري حاجتك.

قالت: إني أقسمت على نفسي أن لا آخذ شيئاً من أحد، كنت قد حرصت عليه، ولكن من هو في مثل مقامك،

ينبغي له الإعطاء دون السؤال.

أقول: أمثال هذه الأعمال من معاوية كانت لأجل إمالة القلوب إلى نفسه، لكنه لم يتمكن كما هو مذكور في

التواريخ.

٤٩

الآن صرت أمير المؤمنين!

دخلت عكرشة بنت الأترش بن رواحة على معاوية، وكانت قد بلغ الكبر منها وببيدها العصا، فسلمت عليه بأمرة المؤمنين.

فقال لها معاوية: الآن صرت أمير المؤمنين عندك يا عكرشة؟!

قالت: نعم لأن عليا (عليه السلام) لم يكن على قيد الحياة.

فقال معاوية: ألسنت الحاملة السيف يوم صفين، والواقعة بين الصفين، وتقولين: أيها الناس!.

انظروا أنفسكم، فإن كنتم على هدى فلن يضركم إضلال الآخرين، فإنهم لن يخرجوكم من الجنة، التي لا موت فيها ولا شيخوخة، فلا تقاس نعمة الجنة بهذه الدنيا، فاشترتوا الجنة التي لا هم منها ولا نصب، فكونوا على بصيرة من دينكم، واصبروا حتى تنالوا حقكم، وثبتوا أقدامكم، وتعاونوا فيما بينكم حتى يأتيكم النصر. إن معاوية قد جمع لكم هؤلاء الأعراب، غلف القلوب، من الجهال، لا يدركون الإيمان، ولم يطلعوا على العلم والحكمة، فدعاهم إلى الدنيا بالباطل، فكبروا له.

عباد الله! خافوا الله، ودافعوا عن دينكم، إن معاوية وأشياعه يريدون ضعفة الدين، وإطفاء نور الحق، هذه بدر الصغرى، وعقبة الأخرى.

يا معشر المهاجرين والأنصار! كونوا على بصيرة من أمركم، وصمموا على عزمكم، فستلتقون منع أهل الشام غدا، وهم يخافون سيوفكم، كأنهم حمار يصيح من دبره، وكبغير يطرح بعورته.

ستقولون: نراك بهذه العصا، وأنت في وسط عسكريين، وهذه عكرشة بنت الأترش بن رواحة، تريد هلاك عسكر أهل الشام، فلو لم تكن مشينة الله، فما هذا العمل منك؟

قالت: يقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)) (١).

فقال معاوية: صدقت، ما حاجتك؟

قالت: إن الصدقات التي كانت تؤخذ منا، كانت تعطى لمحتاجينا، أما الآن فقد تغير الأمر عما كان عليه قبل، فالصدقات لا توزع على محتاجينا، فإن كان هذا العلم بأمرك وبإشارة منك، فلا بد من أحد أن ينبهك على هذه الغفلة، وأن تتوب منها، ولو لم يكن هذا العمل على علم من عندك، ويقوم به أحد دون إذتك، فلا بد من تنبيهك على ذلك حتى لا يتولى هذا الأمر من العمال الخائنين والظلمة.

فقال معاوية: قد يحدث لنا من الخلل في أمور الرعية، ونحن حد الإمكان نتغلب على هذه الحالات ونجبر ما حدث.

فقالت: سبحان الله! إن الله لم يقرر لنا حقا يضر بالآخرين، وهو علام الغيوب.

فقال معاوية: هيهات، يا أهل العراق! إن علياً قد علمكم هذا، إنكم لا تتحملون الضيم، ثم أمر بأن تصرف

الصدقات فيهم.

* هذا كله من آثار العلم، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة، ومدارسه تسييح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنة، وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة، دليل على السراء والضراء، وسلاح على الأعداء، وزين للأخلاء، يرفع الله تعالى به أقواما يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلقتهم، ويمسحونهم في صلاتهم بأجنحتهم، ويستغفر لهم كل شيء حتى حيتان البحور وهوامها، وسباع البر وأنعامها، لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، ينزل الله تعالى حامله منازل الأخيار، ويمنحه مجالس الأبرار في الدنيا والآخرة، وبالعلم يطاع الله تعالى ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويؤخذ، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء). (١)

* أقول: الحلال ينفع الدنيا والحرام يضر الدنيا، وكلاهما قبل الآخرة، فليس الأمر كما يتوهم بعض الناس من أن ذنبك من شؤون الآخرة فقط.

٥ .

معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين (ع)

عن ضرار بن ضمرة قال دخلت على معاوية بعد قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لي صف لي عليا.
فقلت: اعفني.

فقال: لا بد أن تصفه.

فقلت: أما إذ لا بد: فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعواناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، واشهد الله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تملل السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: (يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات هيهات: قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك يسير وعيشك حقير، أه آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق).

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، ثم قال: فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

فقلت: حزن من ذبح ولدها في حجرها، فلا ترقى عبرتها ولا يسكن حزنها.

١- الخصال ص ٥٢٣ ح ١٢٢ فصل في العلم تسع وعشرون خصلة. والأمالى للصدوق ص ٦١٥ ح ١ المجلس التسعون.

فالتفت معاوية إلى أصحابه، وقال: لو فارقتموني من كان منكم يثني عليّ كما أثنى هذا الرجل على صاحبه؟ فقال: بعضهم: صاحب على قدر صاحبه.

* وبالتفكر يتبين الحق من الباطل والرشد من الغي، ففي الحديث عن الأئمة (عليهم السلام): (تفكر ساعة خير من عبادة سنة). (١)

وفي حديث آخر: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة). (٢)

٥١

كيف رأيت علياً

لما حج معاوية سأل عن امرأة كانت تسكن الحجون وكانت سوداء اللون سمينة، تدعى (دارمية الحجونية)، فأخبروه بأنها لا تزال حية على قيد الحياة، فأمر بإحضارها، فلما جيء بها إليه، سألها عن حالها، فقال لها: كيف حالك يا بنت حام؟

فقالت: لم يكن نسبي من حام، بل أنا امرأة من كنانة.

فقال لها: ألم تعلمي لم أحضرتك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

فقال لها معاوية: أحضرتك لأرى العلة في حبك لعلي، وإظهار العداوة لي.

فقالت له: أرى أن تعفيني عن هذا السؤال.

فقال لها: لا أعفبك عنه.

فقالت الدارمية: أحببت علياً (عليه السلام) لأنه كان يعدل في الرعية، ويقسم بيت المال بالسوية، وعاديتك لأنك حاربت من هو أولى منك بالخلافة، وطالبت بحق ليس لك.

والبيت علياً (عليه السلام) لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ولاه، وكان يحب الفقراء، ويجل أهل الدين، وما عاديتك إلا لأنك أرقت الدماء بغير حق، وجرت في قضائك، وحكمت بالهوى والعاطفة.

فقال معاوية: لهذا انتفخت بطنك، وكبرت ثدييك، وارتفعت فخذيك.

فقالت: يا معاوية! ما قلت في هذه هي لأمك مشهورة ومضرب المثل لا لي.

فقال معاوية: لا يؤلمك هذا، فإني لم أقصد به سوءاً، فلو كبرت بطن المرأة سيكون ولدها قويا وكاملاً، ولو كبرت ثديها فستدر حليباً يشبع منه طفلها، ولو كان فخذها مملوءاً باللحم، فسيكون لجلوسها وقاراً وحشمة.

ثم قال لها معاوية: هل رأيت علياً؟

قالت: نعم.

قال: كيف رأيتيه؟

١- مستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٨٣ باب ٥ ح ١٢٦٨٩.

٢- بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٩٣ باب ٣٧ ح ٢٣.

قالت: يفر من الرئاسة والسلطنة التي تسعى إليها أنت، إن النعمة التي أشغلتك لم تشغل عليا.

قال معاوية: فهل سمعت كلامه؟

قالت: نعم.

وكان (عليه السلام) يطعم الناس لذيذاً، ويكتفي لنفسه ما بقي من زيت الزيتون المخلوط بزنجار الطشت.

فقال لها: صدقت، لو كانت لك حاجة عندي أذكرها.

فقالت: تفعل إذا طلبت ذلك؟

قال: نعم.

فقالت الدارمية: أريد مائة بعير ذوات الشعر الأحمر.

فقال لها: لماذا مائة بعير، لمن تريديها؟

قالت: سبحان الله! لعلك تريد أقل من ذلك.

فقال معاوية: لو كان علي حياً لما أعطاك شيئاً من هذا.

فقالت: لا، وحتى شعرة من مال المسلمين لم يعطيها.

٥٢

أروى بنت عبد المطلب

دخلت أروى بنت عبد المطلب، وكانت امرأة طاعنة في السن، يوماً على معاوية، فلما رآها معاوية قال:

مرحبا بك يا عمة! كيف حالك بعدنا؟

قالت: يابن أخي! كفرت بالنعمة، وجاريت ابن عمك، وسميت بغير اسمك - أمير المؤمنين - وأخذت غير

حقوقك، دون أن يكون لك ولأبائك عملاً يذكر، ولم يكن لكم سابقة في الإسلام، وبعد هذا فقد كفرت برسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) فأهدر الله دماءكم، وذلل وجوهكم، فارجع الحق إلى أهله، وإن كان ذلك لا يرضي

المشركين، فكلمتنا هي العليا، ونبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الغالب.

تأمرت علينا بعد نبيك (صلى الله عليه وآله وسلم)، واحتجت على الناس بقرابتك من رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم)، مع أنا أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمس به رحماً والأنسب لخلافة

المسلمين، ونحن بينكم كبني إسرائيل عند الفراعنة، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم) بمنزلة هارون من موسى، وآخر مقامنا هو الجنة، وآخر منزل تنزلونه هو النار.

فقال عمرو بن العاص: اسكتي أيتها العجوز الضالة! إنه لا عقل لك، ولم نقبل شهادتك.

فقالت له: أنت الذي تتكلم يا بن النابغة؟ وأمك المشهورة بالزنا يعرفها أهل مكة، وكانت تتقاضى أجراً كبيراً،

تخاصم فيك خمسة وكل منهم يدعي أبوتك، فقالت أمك: زنوا بي خمستهم، وسألحقه بمن هو أكثر به شبهاً، ولما

أشبهت العاص بن وائل ألحقتك أمك به.

فقال مروان: اسكتي أيتها العجوز! وأذكرني حاجتك؟

فقال له: يا بن الغمزة! أنت الذي تكلمني؟.

ثم التفتت إلى معاوية وقالت: أنت الذي جرأتهم بالكلام، إن أمك هند كانت تقول عند قتل حمزة:

نحن جزيانكم بيوم بدر***والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان لي من عتبة من صبر***وشكر وحشي علي دهرى

فقال ابنة عمي في جوابها:

خزيت في بدر وغير بدر***يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية: لقد عفا الله عما سلف، اذكرني حاجتك يا عمّة!

قالت: لا حاجة لي عندك.

٥٣

سؤال قيصر

كتب قيصر الروم إلى معاوية كتابا، يطلب فيه:

أن يخبره عن شيء لا قبلة له، ومن لا أب له، ومن لا قوم وعشيرة له، ومن يسير ويتحرك في مجلسه، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق من رحم الأم، وعن الشيء، ونصف الشيء، وعن اللاشي، وابعث لي مع هذه الزجاجاة أصل كل شيء.

فبعث معاوية بالكتاب والزجاجاة إلى عبد الله بن عباس.

فقال ابن عباس: الشيء الذي لا قبلة له فهي الكعبة.

والذي لا أب له هو عيسى (عليه السلام).

والذي لا قوم له ولا عشيرة هو آدم (عليه السلام).

والذي يسير في مجلسه ويتحرك هو يونس (عليه السلام).

وأما الأشياء الثلاثة التي لم تخلقهن رحم أم، فهي: كبش إبراهيم، وناقاة صالح، وعصا موسى.

والشيء: هو الرجل الذي يعقل ويدرك، ويعمل بعقله وإدراكه.

ونصف الشيء: هو الرجل الذي لا عقل له ولم يدرك، ولكنه يعمل بعقل الآخرين ومشورتهم.

واللاشيء: هو الرجل الذي لا عقل له ولا إدراك، ولم يعمل بعقل الآخرين وإدراكهم.

وملأ الزجاجاة من الماء، وقال: هذا أصل كل شيء.

فبعث ابن عباس بالمكتوب والزجاجاة إلى معاوية، وأرسلها معاوية بدوره إلى قيصر الروم.

فلما قرأ قيصر الرسالة، واطلع على الأجوبة، قال هذا من بيت النبوة.

٥٤

كرهت أن أقتله وهو يصلي

كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل يعجب الأصحاب تعبه واجتهاده، وقد ذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باسمه فلم يعرفه - أي حسب الظاهر - فوصفوه بصفته، فلم يعرفه، فبينما هم يذكرونه، إذ طلع الرجل، فقالوا: هو هذا.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إنكم لتخبروني عن رجل في وجهه لسفعة من الشيطان. فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني.

قال: اللهم! نعم، ثم دخل يصلي.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من يقتل الرجل؟

فقال أبوبكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحانه الله، أقتل رجلا يصلي، فخرج.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما فعلت؟

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من يقتل الرجل؟

قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته، فقال عمر: وجدته واضعاً جبهته، وأبوبكر أفضل مني، فخرج.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ماذا؟

قال: وجدته واضعاً جبهته لله، فكرهت أن أقتله.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من يقتل الرجل؟

فقال علي (عليه السلام): أنا.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت إن أدركته.

فدخل عليه، فوجده قد خرج، فرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ماذا؟

قال (عليه السلام): وجدته قد خرج.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا

يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم يعودون فيه حتى يعود السهم في فوهته،

فاقتلوه، هم شر البرية، إن هذا لأول قرن يطلع في أمتي، إن بني إسرائيل اختلفت اثنتين وسبعين فرقة، وإن

هذه الأمة ستفرق ثلاثاً وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة. (١)

١- راجع بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٠ باب ١ ح ٣٧ وفيه: (ان بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الاملة واحدة)، الحديث. ولا يخفى ان روايات اختلاف الامة من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) على اكثر من سبعين فرقة مروية عن طريق الفريقين.

وروي في التاريخ: أن هذا الرجل كان يقال له: ذو الخويصرة، وهو الذي أوجد فرقة الخوارج في خلافة علي (عليه السلام)، وأخيراً قتل بيد علي (عليه السلام).
* أقول: (ما اختلف) في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أي بالنسبة، فإن الكلام - إلا ما خرج - نسبي كما لا يخفى على البلغاء.

٥٥

من كلمات الرسول (ص)

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، فهم الأتقياء الأتقياء الأتقياء، الذين إذا شهدوا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا، تعرفهم بقاع الأرض، وتحف بهم ملائكة السماء، تنعم الناس بالدنيا وتنعموا بذكر الله، افترش الناس الفرش وافترشوا هم الجباه والركب، وسعوا الناس بأخلاقهم، تبكي الأرض عليهم لفقدهم، ويسخط الله تعالى على بلد ليس فيها منهم أحد، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف، شعنا غبرا، يراهم الناس فيظنون أن بهم داء، أو قد حولطوا أو ذهب عقولهم، وما ذهب، بل نظروا إلى أهوال الآخرة فزال حب الدنيا عن قلوبهم، عقلوا حيث ذهب عقول الناس فكونوا أمثالهم). (١)
* أقول: فاللزام أن نجعلهم أمثلة للاقتداء، لا أن نجعل أهل المال والجاه أمثلة يقتدى بهم.

٥٦

ديون علي (ع)

روى الشيخ الصدوق عن ابراهيم بن مهران قال: كان بالكوفة رجل تاجر يكنى بأبي جعفر، وكان حسن المعاملة في الله تعالى، ومن أتاه من العلويين أعطاه شيئا ويقول لغلامه: أكتب هذا ما أخذ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فبقي علي هذا أياما... ثم غلبه الفقر.

فنظر يوما في حسابه فجعل كلما مر عليه اسم حي من غرمانه بعث إليه فطالبه، ومن مات ضرب علي اسمه، فبينما هو جالس على باب داره إذ مر به رجل فقال - استهزاء - ما فعل غريمك علي ابن أبي طالب (عليه السلام)؟

فاغتم لذلك غمًا شديداً ودخل داره فلما جن عليه الليل رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان الحسن

١- إرشاد القلوب ص ١٢٥ الباب الثاني والأربعون في حسن الخلق وثوابه.

والحسين (عليهما السلام) يمشيان أمامه فقال لهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما فعل أبوكما؟
 فأجابه علي (عليه السلام) من ورائه: ماذا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟
 فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لم لا تدفع إلى هذا الرجل حقه.
 فقال: بلى يا رسول الله قد جنته به.
 فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ادفعه إليه.
 فأعطاه كيسا من صوف أبيض وقال له: هذا حقه فخذ، ولا تمنع من جاءك من ولدي شيئا فإنه لا فقر عليك بعد هذا.
 فقال الرجل: فانتبهت والكيس في يدي! فنادت زوجتي وقلت لها، هاك، فناولتها الكيس وإذا فيه ألف دينار.
 فقالت: يا هذا الرجل اتق الله ولا يحملك الفقر على أخذ ما لا تستحقه، فإن كنت خدعت بعض التجار في ماله فارده إليه.
 فحدثها فقالت: إن كنت صادقا فأرني حساب علي بن أبي طالب (عليه السلام) فحضر الدستور فلم ير فيه شيئا بقدرة الله تعالى، وقد محيت كل ديونه على علي (عليه السلام) المكتوبة في دفتره.

٥٧

أبو العيناء والجارية

روى أبو العيناء قال: رأيت جارية تتحدث وتقسم على كلامها، وتقول: لا أعود إلى منزل مولاي أبداً.
 فسألته: عن سبب هذا الإنكار؟
 فقالت: إنه يواقيني من قيام، ويصلي قاعداً، ويشتمني بإعراب، ويلحن في القرآن، ويصوم في الخميس والاثنين، ويفطر في رمضان، ويصلي الظهر، ويترك الصبح.

٥٨

الإمام الحسين (ع) وخروجه إلى العراق

قيل لعبد الله بن عمر: إن الحسين بن علي (عليهما السلام) قد خرج يريد العراق، فمشى إليه حتى التقى به في مكان يبعد عن المدينة مسيرة ثلاثة أيام، فسأله: إلى أين تريد؟
 فقال (عليه السلام): كتب أهل العراق يدعونني إليهم، ثم أخرج كتبهم وطواميرهم وأراها عبد الله، وقال: وهذه كتبهم لي وقد أظهروا بيعتهم.
 فأقسم عليه عبد الله أن يرجع، ولا يأمن أهل الكوفة، وقال: بها قتل أبوك وأصيب أخوك.
 إلا أن الإمام (عليه السلام) كان مصمماً على المضي وذلك بأمر من الله سبحانه.

فقال عبد الله: إذا كان الأمر كذلك، فدعني أحدثك حديثاً:

نزل جبرائيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختر (صلى الله عليه وآله وسلم) والآخرة، وأنت بضعة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والله أنت وأهل بيتك لن تتألوا الرئاسة، وأن الله ما جعل ذلك لكم إلا وهو خير وأفضل لكم، فاعدل عن سفرك وارجع.

فلم يقبل منه الحسين (عليه السلام) ما أشار به عبد الله.

فبكى عبد الله وعانق الحسين (عليه السلام) وقال: أودعك الله، وما أراك إلا قتيلاً.

* لم يدرك عبد الله هدف الإمام (عليه السلام)، حينما قال له: إنك أو أحد من أهل بيتك لم ينل الحكومة، ظنا منه أن الإمام (عليه السلام) يحب السلطة والرئاسة، كما لم يدرك أكثر الناس هدف هذا الإمام العظيم (عليه السلام) فكانوا ينصحونه للعدول عن رأيه.

لقد كانت أسباب النهضة الحسينية وأهدافها كثيرة، أهمها: إحياء الدين، وإنقاذ المسلمين، ولقد كافح الظلم والاستبداد، والكفر والإلحاد، والشر والفساد، ليكرس مكاسب البشرية الرائعة من نهضته المباركة الخالدة، استشهد ليروي نبتة الإسلام الفتية التي كادت تذبل وتموت، ويرويها بدمه الزاكي ودماء أهله وصحبه الطيبين الطاهرين، وضحي من أجل إقامة الحق وإدحاض الباطل، ومن أجل إحياء العدل والصلاح، وإماتة الظلم والفساد، حيث يقول (عليه السلام) في وصيته التي سلمها لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة المنورة، معلنا نهضته ضد الحكومة المستبدة، وشارحاً أهدافه السامية، قائلاً:

... إني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)... (١)

فكان الحسين (عليه السلام) يرى سعادة البشرية وحياتها الأبدية في موته في سبيل دين الحق، وإحياء الإسلام وإنقاذه من براثن الشرك، وكذلك هدف أصحابه وآله الذين استشهدوا قبله وبين يديه.

أتروني قاتلتكم على الصلاة؟

روى المدائني قال: خرج على معاوية قوم من الخوارج، بعد دخوله الكوفة وصلح الإمام الحسن (عليه السلام)، فأرسل إلى الإمام الحسن (عليه السلام) يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج.

فقال الإمام الحسن (عليه السلام): سبحان الله! تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة وألفتهم، أفتراني أقاتل معك؟

فخطب معاوية أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة! أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم

١- المناقب ج ٤ ص ٨٩ فصل في مقتله (عليه السلام).

تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وأتولى رقابكم، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل مال أو دم أصبت في هذه الفتنة مطلول، ألا إن كل شيء أعطيت الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به، ولا يصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإفقال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإن لم تغزوهم غزوكم، ثم نزل.

٦٠

أيها الملك

روي أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية فقال: السلام عليك، أيها الملك!.
فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت: يا أمير المؤمنين!.
فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً؟ والله، ما أحب أني وليتها بما وليتها به.
* وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: وفدت مع أبي إلى معاوية، أوفدنا إليه زياد، فدخلنا على معاوية، فقال: حدثنا يا أبا بكرة؟.

فقال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الخلافة ثلاثون، ثم يكون الملك. (١)
* وعن عمار بن ياسر قال: إذا رأيتم الشام اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فألحقوا بمكة.
وبلغ المغيرة بن شعبة: أن معين بن عبد الله يريد الخروج، فأرسل إليه وعنده جماعة فأخذ وحبس، وبعث المغيرة إلى معاوية يخبره بأمره، فكتب إليه: إن شهد أني خليفة فخل سبيله.
فأحضره المغيرة فقال: أتشهد أن معاوية خليفة، وأنه أمير المؤمنين.
فقال: أشهد أن الله عزوجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فأمر به فقتل.

٦١

لم يسلموا بعد

روي حبيب بن ثابت: أن رجلاً قال لعمار بن ياسر في حرب صفين: يا أبا اليقظان! ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا حفظت لهم دماءهم وأموالهم.
قال عمار: نعم، هكذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن لم يسلم هؤلاء، بل اجبروا على الاستسلام، ولا يزال الكفر متمكناً في قلوبهم، وإنما أظهروا ذلك - إسلامهم - طلباً للعون.

١- ولا يخفى أن الحديث الصحيح المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الفريقين هو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يكون بعدي اثنا عشر خليفة) راجع مسند احمد، الحديث رقم ١٩٩٤٤. والخصال ص ٧٢ ح ٢٦ فصل الخلفاء والأئمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اثني عشر وقد صرح رسول الله بان اولهم علي بن ابي طالب وآخرهم المهدي (عج) .

٦٢

لعنهم رسول الله (ص)

قال علي بن الأقرم: جنت عبد الله بن عمر فقلت له: يا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرني عما رأيت وسمعت؟
 فقال عبد الله: بعث لي معاوية خطاباً يقول فيه: إياك وأن تحدث بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا ضربت عنقك.
 ووالله إن خطابه لا يمنعني من ذلك، لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في معاوية، ورأيت بعيني هاتين: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد بعث إلى معاوية رسولا ليأتيه فيجيب على الرسائل التي كانت ترد إليه - حيث كان معاوية من كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - فلما رجع رسول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره بأن معاوية يأكل، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا أشبع الله بطنه). (١)
 ورأيت أبا سفيان يوماً ركباً دابةً ومعه ولديه معاوية ويزيد أحدهما يقود والآخر يسوق الدابة، فلما أبصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (اللهم العن القائد والسائق والراكب). (٢)
 فقلت له: أنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟
 قال عبد الله: بلى، وإلا صمتا وعميتا.

٦٣

عبد الله بن بديل الخزاعي

قال الشعبي: كان عبد الله بن بديل الخزاعي وهو من أصحاب علي (عليه السلام) في معركة صفين، متقلداً سيفين ودرعين، ففرق أهل الشام بسيفه وحمل عليهم حتى وصل قريباً من خيمة معاوية.
 فأبلغ معاوية حبيب بن مسلمة الفهري بأن يحمل بكامل جنده على عبد الله.
 فتشابكت ميسرة أهل الشام بقيادة حبيب بن مسلمة مع ميمنة أهل العراق، فحمل عبد الله حملة على خيمة معاوية حتى اقترب منها، مما اضطر معاوية أن يتحرك من مكانه إلى الخلف، وصاح بأعلى صوته، (يا لثارات

١- الطرانف ص ٥١٤ فصل في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاوية لا أشبع الله بطنه. ووقعة الصفين ص ٢٢٠ الجزء الرابع من كتاب صفين لنصر بن مزاحم.

٢- ووقعة الصفين ص ٢٢٠ الجزء الرابع من كتاب صفين لنصر بن مزاحم وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ٢٨٩ فصل مفاخرة بين الحسن بن علي ورجالات من قريش.

عثمان)! فظن معاوية وأتباعه أنه يريد عثمان بن عفان، في حين أن كان يقصد أخاه عثمان الذي استشهد. وكان عبد الله بن بديل قد صمم على قتل معاوية، فصاح معاوية بأهل الشام: ويحكم ارموه بالحجارة، فأخذ أهل الشام يرمونه بالسهم وبالحجارة من كل جانب، حتى أصيب بجراحات بالغة في جسمه، ولم يستطع الوقوف فسقط على أثرها.

فجاء معاوية مع عبد الله بن عامر وكان ابن عامر صديقاً لابن بديل من قبل، فوقف على نعش ابن بديل، فنزع ابن عامر عمامته من رأسه ووضعها على جنازة ابن بديل، وترحم عليه. فقال معاوية: اكشف لي عن وجهه.

فقال ابن عامر، والله، لا أتركك لتجعله مثله، ما دامت لي روح في بدني.

فلما كشف ابن عامر عن وجه ابن بديل، قال معاوية: والله، إن هذا لصنديد وكبش قومه.

* عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي: من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورئيس قبيلة خزاعة، أسلم قبل فتح مكة، وشارك في غزوة فتح مكة وحنين والطائف، ثم كان من فضلاء أصحاب علي (عليه السلام) واستشهد وأخوه عبد الرحمن في معركة صفين.

٦٤

علي (ع) يراقب أولاده

كان علي (عليه السلام) مع أولاده في معركة صفين يقفون على الميسرة، فلما رأى الأحمر - وهو غلام أبو سفيان أو عثمان - علياً (عليه السلام)، قال في نفسه: والله، إن هذا لعلي قتلني الله إن لم أقتله، ثم حمل علي (عليه السلام).

فتقدم إليه كيسان - غلام علي (عليه السلام) وبعد أن تبادل ضربتين سقط كيسان شهيداً، ومرة ثانية حمل الأحمر على الإمام (عليه السلام) فمد الإمام (عليه السلام) يده إليه وأخذ بتلابيبه وجذبه إليه وطرحة أرضاً. فحمل عليه الحسين (عليه السلام) ومحمد - ابنا علي (عليه السلام) - فضرباه بالسيف، وكان علي (عليه السلام) واقفاً يراقب أولاده وينظر إليهم، وبعد أن فرغوا من قتل الأحمر، قال الإمام (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) الذي كان واقفاً إلى جنب أبيه: أي بني! لماذا لا تشارك أخويك؟ فقال (عليه السلام): إنهما قد كفياني. (١)

١- راجع وقعة الصفين ص ٢٤٩ وفيه: (كفياني يا أمير المؤمنين). وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٥ ص ١٨٩.

٦٥

المصاحبة المنهية

قيل لإبراهيم بن أدهم لم لا تصاحب الناس؟
فقال في الجواب: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقني تكبر علي، وإن صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت لما ليس في صحبتي ملالي، ولا في وصلته انقطاع، ولا في الأئس به وحشة.
* أقول: المصاحبة المنهية هي ما نهى عنها المعصومون (عليهم السلام) فقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال أوصاني أبي فقال:

يا بني لا تصاحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

فقال: قلت: جعلت فداك يا أبا عبد الله من هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعهك بأكلة مما دونها.

قال: قلت: يا أبا عبد الله فمن الثاني؟

قال: البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

قال: فقلت: ومن الثالث؟

قال: لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد.

قلت: ومن الرابع؟

قال: لا تصحبن أحمقاً فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

قلت: يا أبا عبد الله ومن الخامس؟

قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عزوجل في ثلاثة مواضع.

وعلى هذا فالصحبة محمودة إلا في الموارد المستثنيات لا مطلقاً.

٦٦

بين الملائكة وبني آدم

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سأله عبد الله بن سنان، أن الملائكة أفضل أم بني آدم؟ قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

إن الله تعالى ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما،

فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته على عقله فهو أشر من البهائم. (١)

* أقول: على هذا فالإنسان برزخ بين العقل والشهوة.

١- علل الشرائع ص ٤ ح ١ الباب السادس باب العلة التي من أجلها صار في الناس من هو أفضل من الملائكة.

ولا يخفى ان ما قاله (عليه السلام) إنما هو على سبيل الغالب والاصل أو ما اشبهه وإلا فالحيوان أيضا له شيء من العقل كما أن الملائكة قد يزودون بالشهوة.

٦٧

كلامكم نور

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كان غده شرا من يومه فهو ملعون، ومن لم يتفقد النقضان في عمله كان النقضان في عقله، ومن كان في نقصان فالموت خير له). (١)
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك). (٢)
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل غداً وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى والتسويق، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة). (٣)

٦٨

لقد أنصفك!

كان علي (عليه السلام) في أحد أيام صفين واقفا بين الصفين، فصاح بمعاوية: يا معاوية! يا معاوية.
فقال معاوية: سل، ما ذا تريد؟
فقال (عليه السلام): هلم إليّ حتى أكلمك.
فخرج معاوية يصحبه عمرو بن العاص، ووقفا قريبا من الإمام (عليه السلام).
فقال (عليه السلام) له: الويل لك! لماذا يتقاتل الناس لأجلنا، هلم إلى الميدان لنتبارز، فكل من قتل صاحبه تكون الخلافة من نصيبه.
فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص قائلا: ما ترى أنت؟
قال عمرو: لقد أنصفك علي، وإن فررت من هذا الرأي، فستكون أنت وأولادك في ضيق دائم.
فأجابه معاوية: ومثلك يعلم مثلي، والله ما بارز أحد ابن أبي طالب، حتى تتخضب الأرض من دمه، ثم عاد معاوية إلى آخر الصفوف.

١- مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٩.

٢- مكارم الأخلاق ص ٦٠؛ الفصل الخامس في وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر الغفاري.

٣- مجموعة ورام ج ٢ ص ١٩٥. ومشكاة الأنوار ص ٢٦٧ الفصل السابع في ذم الدنيا.

٦٩

حل مشكلة الأسرى

في يوم من أيام صفين حمل عسكر الشام على عسكر أهل العراق، وحاصروهم فأخذ منهم ما يقرب من ألف نفر، وقطع اتصالهم بعسكر علي (عليه السلام).

فصاح علي (عليه السلام): ألا من أحد يعير جمجمته لله، ويؤثر دنياه على آخرته؟ فجاءه عبد العزيز بن الحارث من قبيلة (جعف) راكبا فرسه وحاملا سلاحه، وقال: ما الذي تأمرني به.. فوالله إنني لأفعل ذلك.

فقال له علي (عليه السلام): ثبت الله قدمك وأحكم ركنك، احمل على أهل الشام حتى تبلغ المحاصرين، وقل لهم: إن أمير المؤمنين يبلغكم السلام، ويقول لكم: قولوا بأعلى أصواتكم: الله أكبر، ولا إله إلا الله، من ذلك الجانب، ونحن من هنا، واحملوا على أهل الشام من جانبكم، ونحن نحمل عليهم من هذا الجانب. فضرب الجعفي فرسه وحمل على عسكر الشام، ولم تمض ساعة واحدة حتى بلغ المحاصرين، ولما رآوه فرحوا به، وسألوه: كيف حال أمير المؤمنين؟

قال: بخير، وهو يبلغكم السلام، وأبلغهم خطاب الإمام (عليه السلام) فحمل المحاصرون من مكان الحصر، والإمام (عليه السلام) من الخارج، على عسكر أهل الشام، فكسرت حلقة المحاصرة ونجوا من المحاصرة، ولم يقتل غير واحد منهم، فيما قتل سبعمائة من عسكر أهل الشام، ثم قال علي (عليه السلام): من قدم خدمة كبيرة في هذه العمليات؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال (عليه السلام): لا، بل عبد العزيز الجعفي.

٧٠

الشهامة في الحرب

قال صعصعة بن صوحان: لما التقى عسكر علي (عليه السلام) مع عسكر أهل الشام، خرج كريب بن الصباح - ولم يكن في عسكر أهل الشام من هو أشجع منه - إلى الميدان، وطلب من يبارزه، فخرج إليه مرتفع بن الوضاح من أهل العراق فبارزه حتى استشهد، ثم خرج إليه آخر فقتله كريب، ثم خرج إليه مبارز ثالث من عسكر علي (عليه السلام) فقتله كريب هو الآخر، فوضع جنائزهم الواحدة فوق الأخرى وصعد عليها، وطلب مبارزا يبارزه.

فذهب علي (عليه السلام) بنفسه إلى الميدان، وقال: الويل لك يا كريب! أخوفك بغضب الله وأدعوك إلى سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، الويل لك يا كريب! هذا ابن هند يريد أن يوردك النار. فقال كريب: سمعت الكثير من هذا الكلام، ولست بحاجة إليه، فإن كنت ممن يحب المبارزة، فتقدم.

فقال (عليه السلام): (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فتقدم إليه على مهل، فضربه ضربة سقط كريب منها على الأرض، ثم طلب مبارزا فخرج إليه الحارث بن وداعة فقتله، ثم طلب من يبرز إليه، فبرز إليه المطاع بن المطلب، فقتله (عليه السلام) ثم طلب من يبارزه، فلم يخرج إليه أحد، فصاح علي (عليه السلام) بأعلى صوته: ((الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمة قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)) (١).

ثم نادى (عليه السلام) معاوية وقال: الويل لك يا معاوية! علام يتقاتل الناس، أخرج إلي لنتقاتل، فأينا قتل أراح صاحبه.

فقال عمرو بن العاص: اغتتم هذه الفرصة، فقد قتل ثلاثة من شجعان العرب، ولعلك ستنتصر عليه:
فقال معاوية: الويل لك يا عمرو! تريد قتلي، حتى تتولى الخلافة؟ بنس ما أشرت به علي وما أنصفتني حين تأمرني بأمر تكرهه لنفسك.

٧١

في شجاعة علي (ع)

روي أن الملاء اجتمعوا في صفين لمعاوية، وذكروا شجاعة علي (عليه السلام) والأشتر، فقال عتبة بن أبي سفيان: لا نظير لعلي.

قال معاوية: قتل علي أباك يا وليد بن أبي معيط يوم بدر، وأخاك يا أبا الأعور يوم أحد، وأباك يا أبا طلحة يوم الجمل، فإذا اجتمعتم أدركتم ثأركم، وشفيتم أنفسكم، فضحك الوليد، وقال:

يقول لكم معاوية بن حرب***أما فيكم لو أترككم طلب

شد علي أبي حسن علي***بأسمر لا تهجنه الكعوب

كأن القوم لما عاينوه***خلال النقع ليس لها قلوب

وقد نادى معاوية بن حرب***فأسمعه ولكن لا يجيب

قال الوليد: إن لم تصدقوني فاسألوا عمروا يخبركم عن شجاعته، وقد ردها بكشف سوءته.

٧٢

لماذا الانتقال؟

روى أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنت مع علي (عليه السلام) في معركة صفين، وتحت راية عمار بن

ياسر، فرأيت رجلاً يخترق الصفوف حتى وصل إلينا، فقال: من منكم عمار بن ياسر؟

فقال عمار: ها أنا ذا.

قال: أنت أبو اليقظان؟

قال: بلى.

فقال الرجل: لي إليك سؤال، أ أسألك به علانية أم سرًا؟

فقال عمار: أنت وما تريد.

فقال الرجل: أرى من الأفضل الإعلان به، خرجت من عند أهلي على بصيرة من أمري وشاركت في هذا الحرب، وأنا على يقين من أن أهل الشام على ضلالة وباطل، وأنا على الهدى والحق، حتى حانت الليلة الماضية، فصاح مؤذنتنا وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال مؤذنتهم بمثل ذلك، وما أن صلينا حتى صلوا بمثل صلاتنا، ولما دعونا دعوا مثل ما دعونا، وحين قرأنا القرآن قرعوا كقرأتنا، فلما رأيت هذه الحال استولى شك على قلبي، ولم يغمض لي جفن تلك الليلة وأخذت تراحمني الأفكار، فلما أصبحت جئت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وشكوت له ذلك.

فقال (عليه السلام) لي: هل لقيت عماراً؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): اذهب إليه وخذ بقوله، ولهذا جنتك.

فقال عمار: ألم تعرف أن هذه الراية السوداء التي تقابلني هي راية عمرو بن العاص، وقد حاربت صاحب هذه الراية ثلاث مرات على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه هي المرة الرابعة، ولم تكن بأحسن من سابقتها، فهي أسوء وأظلم. هل شاركت في حروب بدر وأحد وحنين؟ أو شارك فيها أباًؤك وحدثوك بما جرى فيها؟

فقال: لا.

فقال عمار: مواقع راياتنا هي مواقع رايات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في معارك بدر وأحد والأحزاب، ومواقع راياتهم هي مواقع رايات الكفار، فراياتنا اليوم هي بيد من كانت راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده، ورايات هؤلاء بيد رايات أهل الشرك.

وهذا العسكر الكبير الذي تراه يحيط بمعاوية من كل جانب، والله لقد أحببت أن يكون كله - أي العسكر - رجلاً واحداً، ويقع في يدي، لأقطع رأسه قطعة قطعة، والله إن دماغهم أحل من دم الطير، فهل أن دم الطير حرام؟

فقال الرجل: لا، إنه حلال،

فقال عمار: فإن دم هؤلاء مثل هذا، فهل أبصرتك؟

قال: بلى.

فلما أراد الرجل أن ينصرف، قال له عمار: إن هؤلاء يضربوننا بالسيوف ويقولون عنا: أننا على باطل، ولو كنا على حق لما غلبونا، والله ما عندهم من الحق قيد الرمش الذي يدخل العين فيؤذيها، ولو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وهم على الباطل.

* أقول: ومن الاجوبة على اشكال هذا الرجل: قوله تعالى: ((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)) (١).

٧٣

المصاحف على أسنة الرماح

روى تميم بن حذيم قال: رأيت في صبح أحد أيام صيفين وفي مقدمة الصفوف لعسكر الشام شيئا كأنه أعلام، ولما صحا الجو، وإذا أنا بمصاحف مرفوعة على أسنة الرماح، وقد شد قرآن المسجد الأعظم في الشام على ثلاثة رماح يحمله عشرة أشخاص، مع مائة مصحف أمام العسكر ينادي حاملوها - وهم من أهل الشام - بأعلى أصواتهم: يا معشر العرب! راقبوا الله في أمركم، وفكروا في النساء والبنات، ومن للروم والترك بعدكم، وأذكروا الله في دينكم، وهذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال علي (عليه السلام): إلهي! أنت تعلم أن هؤلاء لا يريدون القرآن فاقض بيننا. فوقع الاختلاف بين أصحاب علي (عليه السلام)، فقال بعضهم: لا نترك قتالهم، وقال آخرون: علينا أن نستجيب لما دعونا إليه من تحكيم كتاب الله، وأن نرضى به حكما، ولا يستحل قتالهم. فنجح معاوية في حيلته.

٧٤

إبليس تمثل أربع مرات

روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إن إبليس اللعين تمثل بأربع صور في أربع مرات.

١: ففي معركة بدر: تمثل بصورة سراقفة بن جعشم، وقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه.

٢: وفي قصة بيعة العقبة، وقد بايع فيها سبعون رجلاً من أهل المدينة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتمثل إبليس بصورة منبه بن الحجاج، وصرخ قائلاً: يا معشر قريش! إن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) والصباة - الذين تركوا الدين - في العقبة، فأخرجوهم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يوهمكم هذا.

٣: وعندما اجتمعت قريش في (دار الندوة) وتأمروا على مقاومة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، تمثل إبليس بصورة شيخ كبير من نجد، وطرح لهم كيفية قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ((وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك)). (٢)

١- سورة الحجرات: ٩.

٢- سورة الأنفال: ٣٠.

٤: ولما ارتحل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الدنيا، تمثل الشيطان بصورة المغيرة بن شعبة، فقال للمنافقين: لا تجعلوا الخلافة كسروية أو قيصرية بأن تبقى في بني هاشم، وأن تنتظروا النساء الحوامل بأن يلدن لكم ذكراً تبايعونه، وهذا يشق عليكم، فانتخبوا من تريدونه، ليكون خليفة لكم.

* أقول: لا يخفى أن الشيطان تمثل بصور عديدة في الأديان السابقة أيضاً، كما في الروايات (١) وإنما ذكر الراوي هذه الأربعة التي علم بها زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته مباشرة.

٧٥

أنا ابنة حاتم الطائي

لما جئ بأسرى قبيلة طي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، تقدمت إليه بنت جميلة، ووقفت أمامه، وأخذت تتكلم، فتعجب الناس من فصاحتها وبلاغتها، ومما قالتها: يا محمد أعتقني من الأسر، أنا ابنة شريف قومي، كان أبي ملجأ الحيارى، يفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسي العريان، ويرعى حق الجار، ويكرم الضيف، ولا يأتيه طالب حاجة إلا ورجع مسروراً... أنا ابنة حاتم الطائي.

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا جارية إن ما قلتيه هي صفة المؤمن، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فكوا أسرها، لأن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق.

فطلبت من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تدعو له، فاستمع (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دعائها، قائلاً: أصاب الله ببرك موافقه، ولا جعل لك إلى لنيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم إلا جعلك سبباً في ردها عليه، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلها مع بعض الثقات، إلى عشيرتها.

٧٦

عباس بن ربيعة في صفين

روى أبو الأغر التميمي قال: رأيت عباس بن ربيعة في حرب صفين، وقد ملأ نفسه بالسلاح، فعلى رأسه قناع، وكان في يده سيف يمانى، وقد ركب فرساً أصيلة سوداء، عيناها كعيني الأفعى تضيء.

فصاح به رجل من أهل الشام يدعى (عرار) فقال: هلم إلي يا عباس لنتبارز.

فقال له عباس: فلننزل عن فرسينا، فشد عباس شيناً من ثوبه على ظهره شداً محكماً، وأعطى فرسه لغلامه.

فحمل كلاهما كل على الآخر بالسيف، ولم يستطع كل منهما أن يوقع إصابة بالآخر، حتى رأى العباس أن أزرار - الدكمة - الرجل الشامي مشقوق قليلاً، فمد يده إليه وجذبه حتى مزقه إلى الصدر، ثم رجع فضربه على

١- كما في قصة مجيئه إلى النبي موسى (عليه السلام)، والنبي أيوب (عليه السلام)، والنبي آدم (عليه السلام) و..

صدره ضربة هشم أضلاعه، فسقط الشامي إلى الأرض، فهزت أصوات التكبير من العسكرين الأرض. قال أبو الأغر: فسمعت ورائي صوتا يقول: ((قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)) (١).

فالتفت إليه فإذا أنا بأمرير المؤمنين (عليه السلام) يقول: يا أبا الأغر! من هذا الذي يقاتل عدونا؟ قلت: عباس بن ربيعة.

فأحضر الإمام (عليه السلام) عباس بن ربيعة وقال له: ألم أقل لك وللحسن والحسين وعبد الله بن جعفر: أن لا تتركوا مكانكم، ولا تباشروا القتال.

فقال عباس: يا أمير المؤمنين أطلبوني للمبارزة ولا أجيبهم؟.

قال (عليه السلام): نعم إطاعة الإمام أفضل، يريد معاوية أن لا يبقى أحد من بني هاشم حيا، ويحب أن يطفئ نور الله ويحرق قلوبهم.

فلما علم معاوية ما جرى، قال: هل من رجل يأخذ بدم عرار؟ فتهيأ رجلان من قبيلة لخم.

فقال لهما معاوية: كل من قتل عباسا فله عندي جائزة كبيرة، فجاء الرجلان إلى الميدان وطلبا عباسا للمبارزة.

فقال لهما عباس: ينبغي علي أن أستأذن إمامي.

فلما جاء إلى الإمام (عليه السلام) وأعلمه بالذي حصل.

قال له الإمام (عليه السلام): أعرنى وسائل حربك.

فلما لبس الإمام (عليه السلام) لباس عباس، ركب فرسه، وذهب بنفسه إلى الميدان، فظن الرجلان الشاميان أنه عباس.

فقالا له: هل سمح لك إمامك؟.

فقرأ (عليه السلام) هذه الآية: ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)) (٢).

فحمل أحدهما على الإمام (عليه السلام) فلم يمهل، فحمل الآخر، فألحقه الإمام (عليه السلام) برفيقه، ثم رجع

(عليه السلام) في الميدان، وهو يتلو قوله تعالى: ((الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)) (٣).

٧٧

اتق الله يا معاوية

كان الأحنف بن قيس جالسا مع معاوية، فدخل عليه رجل من أهل الشام، وقرأ خطبة، ووقع في علي (عليه السلام)، فجعل الناس رؤوسهم إلى الأرض.

١- سورة التوبة: ١٤.

٢- سورة الحج: ٣٩.

٣- سورة البقرة: ١٩٤.

فالتفت الأحنف إلى معاوية وقال: اتق الله يا معاوية، وارفع يدك عن علي (عليه السلام)، ولا تذكره بسوء، فقد لقي ربه، والله لقد كان علي (عليه السلام) ذا سابقة عظيمة، نقي الفطرة، كثير البركة، تحمل الكثير في سبيل الله، اعلم العلماء، وأحلم الحلماء، وأفضل الفضلاء، ووصي خاتم الأنبياء.

فقال معاوية: والله، لقد ملأت العيون بالأشواك، فقلت أشياء لم ترها، فينبغي لك أن تصعد المنبر وتلعن عليا.

فقال الأحنف: أرى من الأفضل أن تعفيني من ذلك، ولو أجبرتني عليه فو الله لا أسترجع لساني.

فأصر عليه معاوية أن يعلن عليا من على المنبر.

فقال الأحنف: عند ذلك أقول الانصاف فيما كان بينك وبين علي (عليه السلام)، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال:

أيها الناس إن معاوية قد أمرني أن ألعن عليا، فاعلموا أن عليا ومعاوية تقاتلا، وكل منهما قد ادعى أن الآخر اعتدى عليه، فأمّنوا على دعائي فأقول: اللهم العن أنت وملانكتك وأتبيانك وجميع مخلوقاتك أحد هذين ممن اعتدى وظلم الآخر.

فقال معاوية: والله، ما قصدت غيري.

* الأحنف بن قيس: اسمه صخر أو الضحاك، كان عالما حكيما، موصوفا برجاحة العقل، شجاعاً، حليماً، ذا رأي متين، أسلم في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يره، وكان من أصحاب علي (عليه السلام)، توفي سنة ٦٧ هـ في أيام عبد الله بن الزبير.

٧٨

لا رهبانية في الإسلام

جاءت امرأة عبد الله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسألها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حالها؟

فقالت: هذه حالي كما ترى، إن عبد الله قد ترك الدنيا.

فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): وكيف؟

فقالت: قد حرم النوم على نفسه، ويصوم الأيام كلها، ولا يأكل اللحم، ولم يعط حق الزوجة.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وأين هو الآن؟

قالت: خرج من البيت وسيعود قريباً.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا جاء فأخبريني.

فلما رجع عبد الله إلى بيته، وأخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ذهب إلى منزله، وقال له: ما هذه الاخبار التي تصلني عنك؟ لم لم تنم الليل؟

قال: لآمن الفرع الأكبر.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لماذا لا تأكل اللحم؟

قال: حتى آكل من لحم الجنة.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لم لم تعط حق امرأتك؟

قال: طمعا في نساء الجنة فإنهن أفضل.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عبد الله إن رسول الله يأكل ويصوم ويأكل اللحم ويعطي حق المرأة، يا

عبد الله إن لله في ذمتك حقا، وأن لبدنك عليك حقا، وأن لزوجتك عليه حقا.

فقال: يا رسول الله ألا تأمرني أن أصوم خمسا وأفطر يوما؟

قال: لا.

قال: فأربعة أيام أصومها، وأفطر يوما؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا.

قال: فثلاثة أيام أصومها، وأفطر يوما؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا.

قال: فيومين أصومها، وأفطر يوما؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا.

قال: فيوم أصوم ويوم أفطر فيه؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هذا صوم أخي داود (عليه السلام).

٧٩

ما منعك من نصر الخليفة؟

كان أبو الطفيل عامر بن وائلة رجلا فاضلا عاقلا، من شيعة علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، دخل يوما

على معاوية، فسأله معاوية: كيف حزنك عل فراق صاحبك ومولاك أبي الحسن؟

قال: كحزن أم موسى على موسى، وعذري إلى الله فيما قصرت به عنه.

فقال معاوية: ألسنت ممن حاصر عثمان؟ وأعان عليه؟

قال: لا، ولكني ممن حضره ولم أنصره.

قال معاوية: وما منعك من نصره؟

قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار.

فقال معاوية: أما لقد كان حقه واجبا عليهم أن ينصروه!.

قال أبو الطفيل فما منعك من نصره، ومعك أهل الشام؟.

فقال معاوية: أما طلبتي بدمه نصرة له.

فضحك أبو الطفيل، ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني***وفي حياتي ما زودتني زادا

* أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي: ولد في سنة معركة أحد، وأدرك ثمان سنين من حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعد أن بلغ الحلم أقام في الكوفة واختارها مسكناً، وكان من خلص أصحاب علي (عليه السلام)، وشارك مع الإمام (عليه السلام) في جميع حروبه، توفي سنة ١١٠ هـ، وكان آخر الصحابة موتاً.

٨٠

وفي قبال معاوية

وقعت محاوره لجارية بن قدامة مع معاوية، كما أخرجها ابن عساكر في (تاريخ الشام) عن الفضل بن سويد، قال: وقد جارية بن قدامة على معاوية، فقال له معاوية: إن الساعي مع علي بن أبي طالب، والموقد النار في شيعتك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم.

قال جارية: يا معاوية! دع عنك علياً، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه، ولا غششناه منذ نصحناه.

قال: ويحك، يا جارية! ما كان اهونك على أهلك إذ سموك جارية!

قال: أنت يا معاوية! أهون على أهلك إذ سموك معاوية.

قال معاوية: لا أم لك!. قال جارية: أم ما ولدنتي، إن قوائم السيوف التي لقبناك بها بصفين في أيدينا. قال: لتهددني؟

قال: إنك لم تملكنا قسرة، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهداً وموآثيق، فان وفيت لنا وفينا، وإن ترغب إلى غير ذلك، فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً، وأدرعاً شداداً، والسنة حداداً، فان بسطت إلينا فتراً من غدر، دللنا إليك بباع من ختر؟.

قال معاوية: لا أكثر الله في الناس أمثالك.

٨١

الغلو في الأئمة (ع)

روى أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام).

قال: جاءنا الإمام (عليه السلام) يوماً مغتماً وقد ظهرت عليه علامة عدم الرضا.

فقال (عليه السلام): كنت في طلب حاجة أمس، فقابلني أحد حراس المدينة، وناداني: لبيك يا جعفر بن محمد! فأوحشني وخوفني قوله، وعند ما رجعت إلى منزلي سجدت لله، وعفرت وجهي بالتراب، وأبديت ذلتي، وتبرأت من قوله.

فلو أن عيسى بن مريم تعدى ما قاله الله في حقه، لأصبح صماً لا يسمع، وأعمى لا يرى، وأخرس لا يتكلم، ثم قال (عليه السلام): اللهم العن أبا الخطاب وأذقه حر الحديد. وكان أبو الخطاب يرى مذهب الغلو في الأئمة

(عليهم السلام)، واخترع نسبة الألوهية إليهم، وكان قد ألقاها بين الحراس، وكان الحارس يقول بعقيدة ليبيك، حتى تأذى الإمام (عليه السلام) منها.

٨٢

قبر معاوية

جاء عبد الله بن عباس في يوم بارد شديد البرودة وجلس عند عبد الملك بن مروان، فرأى عبد الملك جالسا على فرش ناعمة، وقد غطى نفسه بها.

قال عبد الملك: يا بن عباس أظن أن الهواء فيه نوع من البرودة.

فقال ابن عباس: بلى، إن ابن هند - معاوية - كان واليا مدة عشرين عاما، واستقل عشرين عاما بكونه خليفة، وكان يستعمل هذه الفرش والوسائد، والآن يرقد تحت التراب ويعلو قبره علف الشوك.

ويقال: إن عبد الملك أراد أن يتأكد مدى صحة كلام ابن عباس، فأرسل شخصا إلى قبر معاوية، فرأى علف الشوك فوق القبر ويحيط بجوانبه، نعم:

باتوا على قلل الجبال تحرسهم***غلب الرجال فلم تنفعهم القلل (١)

إن استحلال أكلهم الأموال أوصلهم إلى عقوبة مستحل ما حرم الله، قال سبحانه: ((ومن يغفل يأتي بما غل يوم القيامة)) (٢) فإذا كان أحد المسلمين استحق النار بسبب عبادة غلها من الغنيمة، وإذا امتنع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصلاة على أحد المجاهدين معه، لأخذه خرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين، وإذا كانت الشملة التي غلها من المغنم أحد عبيده (صلى الله عليه وآله وسلم) تلتهب عليه نارا، وإذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): للذي أخذ شراكا أو شراكين من خبير شراك أو شراكين من نار، بل أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه بنطع من الغنيمة ليستظل به من الشمس، فقال: أتحبون أن يستظل نبيكم بظل من نار يوم القيامة، وإذا.. وإذا..

فلما بالك بعقوبة من استأثر بذهب المغنم وفضته واصطفاه لنفسه؟! غير مبال ولا متهيب.

١- راجع إرشاد القلوب ص ٢٩ الباب الرابع في ترك الدنيا. وفيه:
أين الملوك وأبناء الملوك ومن***قاد الجيوش ألا يا بنس ما عملوا
٢- باتوا على قلل الأجيال تحرسهم***غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
فأنزلوا بعد عز عن معاقلهم***واسكنوا حفرة يا بنس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا***أين الأسرة والتيجان والكلل
أين الوجوه التي كانت منعمة***من دونها تضرب الأستار والحجل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم***تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما أكلوا دهرأ وما شربوا***فأصبحوا بعد طيب الأكل قد أكلوا
سالت عيونهم فوق الخدود ولو***رأيتهم ما هناك العيش يا رجل
سورة آل عمران: ١٦١.

٨٣

كتمان فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتغلب معاوية على الخلافة الإسلامية، عزم معاوية على السفر إلى مكة المكرمة لزيارة بيت الله الحرام، وبعد أداء مراسم الحج ذهب إلى المدينة، فخرج أهلها لاستقباله، ولكن لم ير معاوية من بين المستقبلين أحدا من قريش ولا من الأنصار. فلما دخل المنزل سأل عن الأنصار، وقال: تلقاني الناس كلهم غير معشر الأنصار فما منعهم؟ قيل له: لم تكن عندهم دواب؟ قال معاوية: فأين النواضح؟ يعرض معاوية بالأنصار أنهم أكادون، تحقيرا لهم. فقال قيس بن سعد رئيس الأنصار وكان حاضرا: عقرناها يوم بدر وأحد والخندق عندما أردت أنت وأبوك إطفاء نور الإسلام، فعمرت الأنصار دوابها لينصروا بها الإسلام. فسكت معاوية ولم يقل شيئا.

٨٤

شجاعة ابن عباس

وفي أحد الأيام دخل معاوية مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس مع عدد من الجالسين فقاموا له احتراما، إلا ما كان من عبد الله بن عباس، فلم يقم له ولا يهش لأجله. فقال معاوية: يا بن عباس، أنا أعرف سبب عدم قيامك لي والترحيب بي كما فعل الآخرون وذلك لما كان بيننا يوم صفين، وينبغي لك أن لا تؤاخذني بذلك، إن ابن عمي عثمان قد قتل بغير حق ولذا حاربت في صفين. فقال ابن عباس: إن عمر بن الخطاب قد قتل أيضا بغير حق، فلم لم تطالب بدمه؟ فقال معاوية: كان قاتل عمر كافرا. فقال ابن عباس: فماذا كان قاتل عثمان؟ فقال معاوية: قتله المسلمون. فقال ابن عباس: وهذا دليل يبطل ادعاءك ويدل على أنك على غير حق لأن اجتماع المسلمين على قتل أحد يدل على عدم حرمة. فقال معاوية: كتبنا إلى الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من ذكر فضائل علي وأهل بيته، وأحذر لسانك يا بن عباس، وإياك تتحدث بفضائل علي. فقال ابن عباس: فهل تمنعنا من تلاوة القرآن؟

قال معاوية: لا.

فقال ابن عباس: فهل تمنعنا من تفسير القرآن وتأويله؟

فقال معاوية: نعم.

فقال ابن عباس: نتلو القرآن، ولم نتدبر آياته فهل ان تلاوة القرآن أوجب من العمل به؟

قال معاوية: العمل بأوامر القرآن أوجب.

فقال ابن عباس: إذا لم ندر ما يريد الله، فكيف نعمل بأوامر القرآن.

فقال معاوية: فسّر القرآن كما يفسره الآخرون، لا كما تفسره أنت ويفسره أهل بيتك.

فقال ابن عباس: نزل القرآن في بيتنا لا في بيت أبي سفيان، فهل تنهانا يا معاوية أن نعلم عباد الله العمل بأوامر القرآن، وحلاله وحرامه؟ فإذا لم تسأل الأمة عن معاني القرآن ولم تتعلم، فيكن مصيرها الضياع والهلاك. فقال معاوية: اقرأ القرآن، وعلم الناس التفسير، وانقله إليهم، ولكن لا تنقل إليهم ما أنزل الله فيكم بني هاشم.

فقال ابن عباس: قال الله تعالى: ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (١).

فقال معاوية: اغتئم حياتك، وإياك أن تحدث بفضائل أهل بيتك، ثم دخل معاوية المنزل، ثم أمر المنادين أن

ينادوا أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضائل علي وأهل بيته.

٨٥

أنا ضيف من هو أفضل منك

لما حج الحجاج بن يوسف وقف على عين ماء، وأمر بالطعام وقال لحاجبه: فتش عن أحد ليأكل معي، وأسأله عن بعض الأعمال.

فراح الحاجب يجوب في الأطراف حتى عثر على رجل من العرب نائم في ثوبين من الشعر، فركله برجله وقال: أجب الأمير.

فلما حضر عند الحجاج قال له: اغسل يديك حتى تأكل معي.

فقال الأعرابي: دعاني من هو أفضل منك، وقبلت منه.

فسأله الحجاج: من الذي دعاك؟

قال: دعاني الله تعالى إلى الصيام فصمت.

قال الحجاج: أفي مثل هذا اليوم الحار؟

قال: صمت ليوم أحر من هذا اليوم.

فقال له الحجاج: افطر اليوم وصم غدا.

قال: فهل تضمن بقائي إلى غد؟

فقال الحجاج: هذا ليس في يدي.

قال: فكيف تريد مني أن أبدل النقد بالنسيئة، مع أنك غير قادر على ذلك؟ فقال الحجاج: إن هذه الطعام لذيذ تشتهيهِ النفس.

قال: العافية لذته لا أنت ولا من استحضره وطبخه.

٨٦

اكرموا كريم قوم

جاء أعرابي إلى علي (عليه السلام) وقال: يا أمير المؤمنين لي حاجة إليك، والله ما عرضتها لأحد قبلك، فإن قضيتها لي حمدت الله وأثنيت عليه وشكرتك عليه، وإن لم تفعل حمدت الله وعذرتك.

فقال له (عليه السلام): اكتب حاجتك على الأرض، لأني وجدت فيك أثر الفقر والغم.

فكتب الأعرابي: أنا فقير محتاج.

فقال (عليه السلام) لغلامه قنبر: ألبسه حلتي.

فلما أخذ الأعرابي الحلة، وقف أمام الإمام (عليه السلام) وأنشد قائلاً:

كسوتني حلة تبلى محاسنها***فسوف أكسوك من حسن الثناء حلاً

إيه أبا حسن قد نلت مكرمة***ولست تبغي بما أوليته بدلاً

فقال الإمام (عليه السلام) لغلامه قنبر: يا قنبر أعطه مائة دينار.

فتلأ قنبر عن إعطائه.

فقال (عليه السلام): مه، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (اشكروا من أثنى

عليكم، فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه). (١)

٨٧

شجاعة امرأة

روت صفية بنت عبد المطلب قالت: لما كانت غزوة الخندق ذهب الرجال إلى جبهة القتال، وبقينا نحن النساء

والأطفال في قلعة فارغ، ولم يكن بيننا من الرجال غير حسان بن ثابت.

وفي أحد الأيام رأيت رجلاً يهودياً يضرب على الطبل في أطراف القلعة، فقلت لحسان: ألم تر هذا اليهودي

١- الجعفریات ص ١٦٨ باب إكرام الرؤساء، ومكارم الاخلاق ص ٢٤ فصل في جمل من أحواله وأخلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم)

يضرب على الطبل لعله يكون عينا من عيون اليهود جاء ليستعلم حالنا وما نحن فيه ليخبر به اليهود، فذهب إليه واقتله.

فقال لها حسان: عافك الله يا بنت عبد المطلب، ألم تعلمي أنني لست من أهل الشجاعة؟
 قالت صفية: فلما ينست منه، شددت معصي وأخذت عمودا وذهبت إلى اليهودي فقتلته، فلما رجعت إلى القلعة قلت لحسان: انزل واخلع ثيابه لأنه رجل وني امرأة، فلم أنزع ثيابه.
 قال حسان: يا بنت عبد المطلب لا حاجة لي بثيابه.
 * صفية بنت عبد المطلب: عمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأم الزبير بن العوام، عمرت طويلا، وتوفيت سنة (٥٢٠هـ)، ودفنت في البقيع.
 * حسان بن ثابت الأنصاري: كان شاعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمّر ستين عاماً في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، توفي سنة ٥٢ هـ أيام أمارّة معاوية.

٨٨

الدفاع عن مولاه

كان الوليد بن جابر الطائي من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعد ارتحال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، من هذه الدنيا، اختص بعلي (عليه السلام)، وكان من أصحابه ورجاله المعروفين في معركة صفين.

وبعد أن استشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل على معاوية في جمع من الناس، فسأل معاوية أحوالهم واحدا واحدا، فلما وصلت النوبة إلى الوليد سأله معاوية، إلا أن الوليد لم يفصح عن حاله.
 فقال له معاوية: ألم تكن صاحب ليلة الهرير وكنت ترتجز بأعلى صوتك فتقول:
 شدوا فداء لكم أمي وأب***فإنما الأمر غداً لمن غلب
 هذا ابن عم المصطفى والمنتخب***تنميه للعلياء سادات العرب
 ليس بموصوم إذا نص النسب***أول من صلى وصام واقترب
 فقال الوليد: نعم، أنا كنت، وقلت هذا.
 فقال له معاوية: لم قلت هذا؟

قال: لأننا كنا عند رجل قد اجتمعت فيه خصال الخلافة وكل الفضائل العظيمة: فهو أول من أسلم، وأكثر الناس علماً، وأعظمهم حلماً، وأطيبهم ذكراً، لم يدانيه أحد، أنار سبيل الهداية، فلم ينطفئ نوره، وكان رانداً للعدالة، فلن تندرر آثاره، فابتلانا الله بفراقه، واستقرت الخلافة لغيره، والآن دخلنا في جماعة المسلمين، فلا شققنا عصى الطاعة، ولم نفرق جماعة فظاهر ما هو من الأعمال بيدكم، واختيار القلوب إنما هو بيد الله فانس ما ظهر منا، واعف عما أصابك منا، حتى لا تشتعل نار الفتنة.

فقال معاوية: يا خاطئ! أتخوفني بأوباش العراق، أهل النفاق، ومعدن الشقاق؟

فقال الوليد: هم هؤلاء الذين أرادوا أن يقضوا عليك عطشاً، وجسوك عن الماء، ومنعوك من منتصف الطريق، حتى التجأت إلى المصاحف تدعوهم إلى الاحتكام إلى كتاب الله، فصدقوك، في حين أنك تكذبهم، وكانوا مؤمنين بنزوله، وكنت كافراً به ومنكراً لتأويله.

فلما سمع معاوية هذه من الوليد، أصيب بفلج الحجّة وقوة المحجة، فهدده، - كما هو عمل العاجزين على الرد المنطقي - بقوله: إيه، أيها المسكين إن هذا آخر كلام لك، وفي هذه الأثناء دخل عقير بن ذي يزن المجلس، وبتدبير حكيم خلص الوليد.

* ليلة الهرير: هي إحدى ليالي حرب صفين، استمر الحرب فيها من العصر وحتى صباح غد، ولم يسمع فيها إلا زمجرة السلاح، وصياح الرجال، وزفير الخيول، وأنين المجروحين، وأبدى أصحاب علي (عليه السلام) في تلك الليلة مقاومة باسلة وشجاعة فائقة لقتل معاوية، ولكن كان أمر الله قدراً مقدراً يريد ابتلاءهم. قال تعالى: ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون)). (١)

٨٩

من عظمة القرآن

يقال: انه كان جندي قد حارب في النهار، وعند الليل لما دخل خيمته.. والتعب والارهاق قد اثقله تمدد لينام، فرأى القرآن معلقاً على عمود الخيمة، فقال في نفسه: لو كان هذا ملكاً لما كنت أتمدّد هكذا بل كنت أحترمه، فجلس.

ثم نظر إلى القرآن وقال: لو كان هذا ملكاً لما كنت أجلس أمامه، فقام احتراماً للقرآن. ثم فكّر في نفسه وقال لو كان هذا ملكاً لاحترمه أكثر وضممت يدي إلى صدري احتراماً واجلالاً له فبقي على هذه الحالة واقفا الى الصباح وعند ذلك غفي غفوة فرأى في منامه قائلاً يقول له: جعلناك وذريتك ملوكاً لآنك احترمت القرآن.

* يقال: إن (العثمانيين) الذين حكموا البلاد ستمائة سنة كانوا من أعقاب ذلك الجندي. وهذا لا ينافي ظلمهم واستبدادهم فان الله يجازي الاحسان حتى من المسيء. (٢)

١- سورة العنكبوت: ٢.

٢- للتفصيل عن حكومة العثمانيين وما فعلوا باسم الإسلام من الكبائر والمحرمات، راجع (موجز عن الدولة العثمانية) للإمام المؤلف. (دام ظلّه).

٩٠

القرآن حصن

نقل والدي (رحمه الله)(١) إنه كان شخص حافظاً للقرآن وكان يوماً ما يمشي في الصحراء فرآه صياد فظنّه حيواناً، فأراد أن يرميه ببندقيته، لكن الرصاص لم ينطلق.
فتعجب ووجه فوهة البندقية إلى اليمين والشمال و.. وضغط على الزناد فانطلقت الرصاصة منها، ثم وجه فوهتها إلى الصيد المزعوم مرة أخرى فلم تنطلق الرصاصة..
ولما اقترب الصياد إلى الصيد وإذا به إنسان! فقص له القصة، فقال: إني حافظ للقرآن وكنت في ذلك الحين أقرأ القرآن!!

* أقول: واني أحتمل أن صاحب القصة كان هو الوالد (قدس سره) لكنه لم يذكر نفسه تأديباً.

٩١

بشر الحافي وورقة من القرآن

كان بشر الحافي قماراً خماراً زماراً وكان لا يتورع عن فعل المنكرات والمحرمات الكبيرة.. فرأى ذات مرة في شارع من شوارع بغداد ورقة من قرآن فأخذها واشترى بدرهمين كمية من العطر فعطره ووضعها في ثقبه حائط.

فرأى في المنام قانلاً يقول له: سنجعلك محترماً عند الناس لاحترامك القرآن.
فاتفق بعد ذلك أن رأى الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في قصة مذكورة في الروايات (٢).
وتاب على يده المباركة وصار علماً من الزهاد، وقبره - إلى الآن - مزار يزوره الناس.

١- آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) .

٢- راجع منتهى الآمال للشيخ عباس القمي ج ٢ ص ٢٩٩ الطبعة المعربة. وفيه:

قال العلامة الحلي في منهاج الكرامة: وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي، لأنه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة النقل، فرمت بها في الدرب، فقال لها: يا جارية، صاحب هذا الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر، فقال: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه، فلما دخلت قال مولاه وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده. منهاج الكرامة ص ٣٢ ضمن الوجه الرابع.

٩٢

بين القرآن وديوان يزيد

كان أحد الطلاب لم يوفق لقراءة القرآن أبداً، فلما قيل له في ذلك، قال: إن الله سلبني التوفيق وكلما أحاول أن أقرأ القرآن كأن حائلاً يحول بيني وبين قراءته.

ثم قال: وسببه أنه كان لي قرآن مخطوط أقرأه كل يوم في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وفي يوم من الأيام رأيت هناك شخصاً يبيع بعض الكتب وكان فيها ديوان يزيد فجلب نظري ولكن لم يكن لي مال، فقلت لصاحب الكتب: بكم تباع هذا الكتاب؟

قال: أبيعته في قبال القرآن الذي بيدك.

فقبلت ذلك وأعطيته القرآن وأخذت منه الديوان، وقد سلب عني توفيق قراءة القرآن من ذلك اليوم.

٩٣

من أخلاق الرسول (ص)

جاء في الروايات: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءه أعرابي خشن وهو جالس في مسجده وحوله جماعة من اصحابه، فطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاجته.

فلم يتمكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قضائها في ذلك الوقت، فأرجأه إلى وقت آخر.

لكن الأعرابي كان سيئ الأدب، فتكلم بما لا يليق أن يقال عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فثارت حمية الأصحاب، وأرادوا تأديبه، إلا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرهم بالكف عنه، ثم توجه الى الأعرابي وقال له: تعال معي إلى الدار.

فاصطحبه إلى الدار وأعطاه ما يرضيه وقال له: هل رضيت عني؟.

قال الأعرابي: نعم، رضي الله عنك يا رسول الله، ومدحه.

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اذهب وقل لأصحابي إني ارضيتك وإنتك راض عني.

فجاء اليهم في المسجد وأظهر رضاه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

٩٤

من سياسة الرسول (ص)

ذكر المؤرخون: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما فتح مكة المكرمة، جعل عليها حاكماً شاباً

يسمى ب (عتاب) وقرّر له راتباً متواضعاً - في كل يوم أربعة دراهم، أي مثقالين من الفضة تقريباً -.

وقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): أحسن إلى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم. وكانت هذه السياسة من الأركان التي سببت أن تتحوّل تلك البلاد - التي حاربت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرين سنة - وفيها الطغاة والمردة والكفار والقتلة والمجرمون، إلى بلاد خاضعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم علموا إذا أساءوا تجاوز عنهم، وإذا أحسنوا أحسن اليهم. وبفضل هذه السياسة المباركة لم تقم مكّة المكرمة ضدّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً، مع أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجعل فيها جيشاً ولا رجال أمن ولا إرهاباً وإنما سيطر على القلوب بعطفه ومحبته وإحسانه.

٩٥

تقسيم بيت المال

لما أمر عثمان بنفي أبي ذر (رضوان الله عليه) إلى الربذة، دخل عليه أبوذر (رضوان الله عليه) وكان عيلاً متوكفاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت اليه من بعض النواحي وأصحاب حوله ينظرون اليه ويظعمون أن يقسمها فيهم.

فقال أبوذر (رضوان الله عليه) لعثمان: ما هذا المال؟

فقال عثمان: مائة ألف درهم حملت الي من بعض النواحي، أريد أضّم اليها مثلها، ثم أرى فيها رأيي.

فقال أبوذر (رضوان الله عليه): يا عثمان أيهما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير؟

فقال عثمان: بل مائة ألف درهم.

فقال أبوذر: أما تذكر أنا وانت دخلنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشاء، فرأيناه كنيباً حزيناً، فسلمنا عليه، فلم يرد علينا السلام - أي رداً بيشر -.

فلما أصبنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلنا له: بأبائنا وأمهاتنا، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كنيباً حزيناً، وعدنا اليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم كان عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسّمتها اليوم فاسترحمت.

٩٦

علي (عليه السلام) في سوق القصابين

روي أن قصاباً باع اللحم لجارية فجار عليها.

فبكت الجارية وخرجت، فرأت علياً (عليه السلام) فشكت اليه.

فمشى (عليه السلام) معها نحو القصاب ودعاه إلى الانصاف في حقها وكان يعظه ويقول: ينبغي أن يكون الضعيف عنك بمنزلة القوي فلا تظلم الناس.

٩٧

الإمام الباقر (عليه السلام) ينصح المنصور

روي في (كشف الغمة) عن ابن حمدون قال:

كتب المنصور إلى جعفر بن محمد (عليه السلام): لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟

فأجابه (عليه السلام): ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك، ولا أنت في نعمة فننهيك، ولا تراها نقمة فنعزيزك بها، فما نصح بك؟.

فكتب إليه: تصحبنا لتصحنا.

فأجابه (عليه السلام): من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

فقال المنصور: والله لقد ميزت عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وأنته (عليه السلام) ممن يريد الآخرة لا الدنيا.

٩٨

حلم الإمام السجاد (عليه السلام)

ورد أن رجلاً سب الإمام السجاد (عليه السلام)، فأغضى الإمام (عليه السلام) عنه حتى يشعره بأثمه لم يسمع.

فسبّه مرّة ثانية.

والإمام (عليه السلام) ساكت، مغض عنه.

ثم سبّه مرّة ثالثة.

والإمام (عليه السلام) ساكت.

فلم يتحمل الرجل سكوت الإمام (عليه السلام) فقال للإمام (عليه السلام): إياك أعني.

فأجابه الإمام (عليه السلام): وعنك أغضي.

٩٩

من هو اكرم الناس

سأل معاوية جلساءه يوماً، فقال: من اكرم الناس أبا وأما، وجداً وجدة، وعماً وعمة، وخالاً وخالة؟ فقالوا: أنت أعلم.

فأخذ معاوية بيد الحسن بن علي (عليهما السلام) وقال: هذا أكرم الناس، أبوه علي بن أبي طالب، وأمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجدته خديجة، وعمه جعفر بن أبي طالب، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخالته زينب بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

١٠٠

مقتل حجر بن عدي

في سنة ٥١هـ، وبأمر من معاوية قُتل حجر بن عدي والثلاثة عشر من أصحابه صبراً بمرج عذراء (١). قال حجر: اتركوني أتوضأ وأصلي، فإنني ما توضأت ولا صليت، ولولا أن تظنوا فيّ جزعاً من الموت لاستكثرت منها.

قالوا: لقد طالت صلاتك خوفاً من الموت.

قال: لم أصل صلاة خفيفة مثل هذه.

ولما حضر الجراد ليقنته ورفع السيف، وجيء بالكفن، وحفر القبر، قيل لحجر: قدم عنقك.

فقال: لا أساعدكم على إراقة دمي.

وقد قتل معاوية حجراً وأصحابه، وهم من خيرة أصحاب علي (عليه السلام): شريك بن شداد الحضرمي، وصفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن صنبعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، و... و...

وقد سمع علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: (يا أهل العراق! سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود) (٢) فقتل حجر وأصحابه.

* وكان حجر من فضلاء الصحابة، وكان على كندة يوم صفين، وعلى الميسرة يوم النهروان، ولما ولي معاوية زياداً العراق وما وراءها، وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر، خلعه حجر، وكتب فيه زياد إلى معاوية، فأمر أن يبعث به إليه، فبعثه مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد، فقتلهم معاوية.

١- تبعد عن مدينة دمشق عشرون كيلومتراً تقريباً.

٢- المناقب ج ٢ ص ٢٧٢ فصل في أخباره (عليه السلام) بالمنايا والبلايا، وشبهه في أعلام الورى ص ٣٣.

ولما حضرت معاوية الوفاة، جعل يقول: يومي منك يا حجر طويل.
وقيل: إن معاوية أول من قتل مسلماً صبراً: حجراً وأصحابه.

* * * * *

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، والله المستعان.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد
وآله الطاهرين.

قم المقدسة

١ / ذي الحجة / ١٤١٨ هـ ق

محمد الشيرازي